الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب واللـــغـــات
قســم :اللغة والأدب العربي
رقـــم: L15/308

ميدان: لغــة وأدب عربـــي
فرع: أدب عربـــــي
تخصص: أدب جزائـــــري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمـــي

إعداد الطالب(ة): وفاء بوقرمي

تحت عنوان

الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار

" الزلزال "

لطاهر وطار - أنموذجا -

لجنة المناقشة: **تاريخ المناقشة: 2017/05/25**

د. عبد الحفيظ جوبر	جامعة المسيلة	رئيســا
د. محمد ناصر تيس	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
أ. عمر جـــادي	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وتقدير

قال تعالى { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } (إبراهيم : 07)

شكراً وحمداً لله سبحانه وتعالى لتوفيقه إياي لإنهاء هذا البحث ثم شكراً وامتناناً وعرفاناً لأستاذي الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذا الموضوع،أستاذي الفاضل

" تيس محمد ناصر الحسني" على ما بذله معي من جهد وعناية لإنجاز هذا العمل فجزاه الله خير الجزاء

كما يسعدني أن أعبر عن تقديري العميق لأساتذة كلية الآداب واللغات،دون أن أنسى جزيل الشكر إلى كل من مدا يد العون في إخراج هذا البحث.

الإهـــــداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لو لا فضل الله علينا أما بعد:

فإلى من نزلت في حقهم الآية الكريمة في **قوله تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}** **[الإسراء : 23]**

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار... إلى من علمني العطاء دون انتظار... إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار.. أرجو أن يمد الله في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول إنتظار..وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد والدي الحبيب.

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب ومعنى الحنان والتفاني... إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من دعائها سر نجاحي..وحنانها بلسم جراحي إلى ست الحبايب أمي الحبيبة.

وإلى من معهم أكبر وعليهم أعتمد.. إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي إلى من وجودهم أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها إلى من عرفت معهم معنى الحياة إخوتي نبيل، ربيع، مراد، سهام، محمد، ياسين.

إلى زميلي الذي لا أحصي له فضلا : براهيمي أمين

إلى صديقتي ورفيقة دربي: جهـــاد

إلى كل من شجعني ولو بكلمة طيبة

.... نهدي إليكم هذا العمل.

WAFA

الفصل الأول بعنوان: الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار، واشتمل على مبحثين فكان المبحث الأول حول ماهية الرواية الجزائرية، وفي المبحث الثاني أبرزت فيه الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار.

الفصل الثاني تمثل في الجانب التطبيقي تحت عنوان: الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار"الزلزال" أنموذجا، وتضمن مبحثين تحدثت في المبحث الأول حول تجربة الطاهر وطار الروائية، أما المبحث الثاني تناولت فيه الموقف الإيديولوجي وأبعاد الرواية.

خاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج التي توصلت إليها، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

ومن أهم المراجع التي اعتمدتها في هذا البحث والتي أمدتني بالمعارف النظرية: *اتجاهات الرواية العربية في الجزائر " لواسيني الأعرج" ، *وتجربة الطاهر وطار الروائية " للينة عوض"، *وكان المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه في الجزء التطبيقي هو رواية " الزلزال" " للطاهر وطار".

وبحثي هذا كغيره من البحوث لم يخل من الصعوبات، منها صعوبة جمع المادة العلمية و تنظيمها وإعداد خطة تحويها لتسهيل فهمها، وقلة المراجع المتصلة في الجزء التطبيقي ولكن بفضل الله تم تجاوزها.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بعميق شكري وامتناني إلى أستاذي المشرف " تيس عبد الناصر"، وأن أرفع له آيات التقدير والعرفان بالجميل ولتواضعه العلمي، وتوجيهاته الحثيثة السخية.

مقدمة:

استطاعت الرواية الجزائرية أن تقفز قفزات واسعة في عمرها القصير الذي لم يتجاوز نصف القرن، واحتلالها لمكانة مرموقة نظرا لما حققته من حضور لافت فرض نفسه على الساحة الأدبية، فقد ازداد الإنتاج الروائي الجزائري خلال السنوات الماضية بشكل جدي و ملموس، مما استقطب اهتمام القراء على مستوياته الثقافية و الإيديولوجية، و خلق مساحة مقروئية واسعة، الأمر الذي أغرى النقاد والدارسين الأكاديميين للبحث فيها محاولة منهم تتبع البنيات التي اتخذها الروائي لعمله الإبداعي.

الرواية هي النوع الأدبي المركزي في أدب ما بعد الاستعمار لا يكاد يزاحمها نوع أدبي آخر، لأنها نوع ينهض بطبيعته على تمثيل الواقع و لذلك فهي الأقدر على تمثيل مجتمعات ما بعد الاستعمار، فمن خلال رواية "الزلزال" للطاهر وطار أردنا معرفة واقع المجتمع الجزائري عامة و مدينة قسنطينة كنموذج مصغر في فترة ما بعد الاستعمار، و انطلقنا من الإشكالية التالية : كيف عبرت رواية "الزلزال" للطاهر وطار عن واقع المجتمع الجزائري في هذه الفترة ؟ وما هي سمات وخصائص الرواية ما بعد الاستعمار؟ وهل تجسدت هذه السمات في الرواية الجزائرية ؟

وقد تم اختيار هذا البحث تلبية لرغبة شخصية مفادها معرفة المواقف الفكرية " للطاهر وطار" عبر كتاباته الروائية اتجاه الأوضاع الراهنة، هذا بالإضافة إلى محاولة إثراء المكتبة الأدبية بالمزيد من الدراسات المتعلقة بالروائي" الطاهر وطار".

وكان المنهج الذي اعتمدته بدراستي في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي متتبعة في ذلك خطة اشتملت على مقدمة، مدخل،فصلين،وخاتمة.

المدخل جاء بعنوان: سمات الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار، حيث تضمن الحديث عن الرواية كجنس أدبي حامل لعدة ثقافات و الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار.

مدخـــــل

سيمات الرواية ما بعد الاستعمار

منذ القديم قدم البشرية شغل فكر الإنسان المحافظة على حياته و بقائه. مستخدما في ذلك كل الإمكانيات المتاحة للدفاع عن بقائه حيا. فالحياة جوهرة نادرة و هي الرؤية التي تدفعه إلى المقاومة و يؤسس للثورة على الاستسلام للواقع.[1]

ففكرة الصراع دفعت بالإنسان إلى البحث عن معادل موضوعي تفرغ فيه الشحنات الزائدة، أو الطاقة الكامنة، التي من خلالها يطمح إلى تحقيق وجودها.

وتظل هذه القيمة تستنسخ نفسها في الذوات البشرية مشكلة جانبا من إدراك الذات، و النضال ضد كل من يقيد حريتها، و البحث عن واقع تمارس فيه سلطتها و كينونتها.

وفكر الإنسان يوجهه في حريته إذا كان حرا، أو يشير على عبوديته إذا كان عبدا، ففي طريقة السرد نلمح شيئا من إعلان الهوية، و جدل الكتابة يؤدي بنا بالضرورة إلى اتخاذ مواقف اتجاه واقعنا ووجودنا، كما يرى جوزيف كونديرا حين يوسع فضاءات الرواية و وعي الإنسان بذاته يقول:(الرواية لا تفحص الواقع بل الوجود، و الوجود ليس ما حصل، الوجود هو عالم الإمكانات كما يمكن إن يصيره،...، يرسم الروائيون خريطة الوجود).[2]

1_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية(بين الايدولوجيا، و جماليات الرواية)، عمان، 2004، ص: 07 .

2_ ينظر المرجع نفسه: ص08 .

الرواية كفن تعبر عن جميع أشكال الوجود، فهي تعبر عن الإنسان و الثقافة و الهوية و كل الممارسات، الرواية هي وليدة الإنسان و طريقة تعبيره، فمن خلالها أمكننا التوصل إلى أن أغلب الشعوب التي أرادت أن تؤكد هويتها المفقودة، عولت على الكتابة محاولة منها إعلان سرديتها الخاصة في مواجهة سرديات أخرى، و تستمد قوتها لا من إنسانيتها و حضارتها بل من اقتصادها و قوتها العسكرية.

لأن قوة الشعوب و الدول تكمن في اقتصادها و هيئتها العسكرية فهما رمز القوة و السلطة، فكل دولة حجم اقتصادها و ترسانتها العسكرية تستطيع فرض هيمنتها على دولة أقل منها شأنا.

والرواية الجزائرية كغيرها من الروايات الغربية و العربية، "جاءت لتثبت ذلك، فقد سخرت من أجل استعادة الثقافة و الهوية و التاريخ المستعدين من قبل امبرالية أحادية للواقع الجزائري. [1]

إن الجنس الغريب الذي وطأ أرض الجزائر مخربا خيراتها ومهدما لمقوماتها و مفرنسا للغتها و فكرها سالبا حريتها و قوميتها هو الاحتلال الفرنسي، " كانت الجزائر أول قطر مغربي تحتله فرنسا عام 1830م، لعدة أهداف منها ما هو اقتصادي و سياسي، لكن هذا الاحتلال قوبل بمقاومة عنيفة و شديدة من قبل الفلاحين الذين انظموا إلى الأمير عبد القادر بعد سقوط قسنطينة 1837" . [2]

1_ ينظر لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية، المرجع السابق، ص: 17 .

2_ المرجع نفسه، ص: 09 .

برزت الرواية الجزائرية بعد الاستعمار، على أيدي نخبة من الروائيين الذين حاولوا من خلال أعمالهم الإبداعية أن يشفوا جراح المجتمع الجزائري التي تسبب فيها الاستعمار الفرنسي، و حملت التجارب الروائية في طياتها عدة مضامين اجتماعية شتى، كالجهل و التخلف و الفقر و قضايا المرأة، و القضايا الاجتماعية و العاطفية و قصص الحب المستحيلة، و خاصة قضية الدين.[1]

كان دور الروائي هو معالجة تلك القضايا المذكورة سابقا، و طرح الأسباب التي أدت لتلك المشاكل و محاولة إيجاد الحلول لها.

انعكست الأحداث التي مرت بها الجزائر منذ دخول الاستعمار أرضها الطيبة في الأعمال الروائية إلا أن اختلاف الآراء و الأوجه في تحديد البداية الأولى للرواية الجزائرية العربية بعد الاستعمار و السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا تأخر ظهور الرواية الجزائرية العربية فترة ما بعد الاستعمار؟

نجد عبد الله الركيبي يرد هذا التأخير إلى "الفن الروائي في حد ذاته، ذلك لأنه فن صعب يتطلب ممارسة الصبر و طول التأمل، بالإضافة أنه لم توجد نماذج روائية جزائرية عربية يمكن السير على نهجها و منوالها". [2]

لكن محمد البصير لم يقتنع بالأسباب التي قدمها الركيبي، يرى بأنها غير كافية لتبرير ذلك التأخر، و يختصره في ضعف تشكل عقل الروائي.[3]

1_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، المرجع السابق، ص:21 .

2_ ينظر عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830 ـ 1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1983، ص122.

3_ محمد البصير: الموقف الثوري (1970 _1982)، رسالة ماجستير، الجزائر، 1986، ص: 14.

نلاحظ أن كلا الكاتبين لهما و جهة نظر خاصة، و توجد عوامل أخرى تسببت في تأخر ظهور الرواية.

تتمثل في الظروف السياسية و الاجتماعية التي عاشها المجتمع الجزائري أثناء وجود الاستعمار على أرضه، من فرض لسياسة التجهيل التي لازمت الفترة الممتدة من1830 إلى 1962، التي تولدت عنها صعوبات في الكتابة خاصة باللغة العربية لأن الاستعمار أجنبي و حاول فرض سياسة تعليم باللغة الفرنسية بالإضافة إلى عدم توفر دور النشر و الطباعة، كل ذلك حال دون توفير رصيد ثقافي جزائري. [1]

استعادت الجزائر حريتها و سيادتها، و دخلت في جو التغيرات من كل النواحي فمنها ما هو سياسي و اجتماعي و اقتصادي و غيرها من الإصلاحات مثلت العشر الأوائل عقب الاستقلال إصلاحات قاعدية مكتب الروائي الجزائري من الانفتاح على العربية المعاصرة، جعلت منه نموذجا فاضلا في الكتابة الروائية للتعبير عن الواقع بكل تفاصيله و تعقيداته. فالروائي الجزائري حاول من خلال رواياته أن يجسد الواقع خاصته ما جرى أثناء الاستعمار والتعبير عن كل أشكال العنف والقهر التي يمارسها الاحتلال على المجتمع الجزائري. [2]

سواء أكان ذلك بالعودة إلى ما مضى(فترة الاحتلال) أو الغوص في الحياة الجديدة (فترة الاستقلال) أي اللحظة الراهنة(الآن) و التي ظهرت فيها ملامح التغييرات بكل جوانبها.

1_ محمد البصير: الموقف الثوري (1970 _1982)، المرجع السابق ، ص: 34.

2_المرجع نفسه ، ص:42.

" أما فترة السبعينات اعتبرت قفزة نوعية و نقلة من مرحلة إلى أخرى، نفض الروائيين الغبار عن كاهلهم، و تحلوا بمظهر و صورة جديدة تليق بالجزائر و الجزائريين". [1]

خلال هذه الفترة نلاحظ بروز نخبة هائلة من الروائيين تباعا، زينوا سماء الجزائر و أزالوا غيمة الاحتلال التي أطفأت نوره.

" أمثال: بن هدوقة، محمد عرعار، الطاهر وطار، عبد الملك مرتاض، مرزاق بقطاش،... وغيرهم". [2]

أغلب الروايات حاولت في مجملها أن تعالج فترة الاستعمار الفرنسي، و آثاره الجانبية التي خلفها فهذا الارتداد إلى الماضي الأسود يفسره أحد الكتاب "سعيد علوش" بقوله ((إن ما يدفع الروائي إلى البحث داخل الماضي له تعرفه فيه على نفسه، إنه يقرر ما يمكن أن يفهم، وما يمكن أن ينسى للحصول على تمثيل الوضوح داخل الحاضر... وهدفه... هو إعطاء هوية للذي يحيا بواسطته هروبا من النسيان الذي رسمه الآخر على جسده)). [3]

كانت فترة السبعينات بالنسبة للرواية العربية ما بعد الاستعمار تأسيسا للفن الجزائري و وليدة الاتجاه الذي ساد الرواية الجزائرية المكتوبة بلغة الآخر من التزام سياسي، فالرواية المكتوبة بلغة الكاتب ابتعدت عن الفنية قليلا كلما اقتربت من الإيديولوجيا في البدايات الأولى للكتابة الروائية". [4]

1_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1986، ص: 92 .

2_ المرجع نفسه، ص: 111 .

3_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ،المرجع السابق، ص: 26 .

4_ سعيد علوش: الرواية و الايديولوجيا في المغرب 1960_1975 ، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1981م ، ص 65 .

وعبر النقاد عن هذه الفترة بأنها ضعيفة من حيث الرؤية الجمالية أحيانا، و رأى أن الجيل الذي أسس الأرضية الروائية كظاهرة و جنس، بفضل إيمانه بثقافة الإرادة.[1]

استطاع هذا الجيل من الروائيين أن يربط بين الأحداث التي جرت إبان الاحتلال و ما بعدها وبين الثقافة و السياسة تبع مما تبلور عنه تيار ثقافي و عمل إبداعي.

" نشأت الرواية الجزائرية الفنية تتكئ على الواقع المعيشي سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا، مع تردد في الموقف الإيديولوجي الذي بدا أقرب إلى موقف النظام و بعض الضعف الفني بناء و شخصيات و تصوير مثل رواية (ريح الجنوب) لابن هدوقة لأن الرواية الجزائرية حديثة النشأة مما جعلها عرضة للضعف، و الهزات و الانتقادات من طرف المتعسفين بالروايات الأخرى".

خطت الرواية خطوة فنية نحو التطور الايجابي ممثلة في (اللاز) للطاهر وطار، التي تستمد الثورة ماضيا لها و نتائجها بعد الاستقلال، و امتداد لنتائج مختلفة، مما هيأ للموقف الإيديولوجي اليساري. [2]

والملاحظ أن الرواية الحديثة تناولت في مجملها موضوعات متشابهة إلى درجة سمات نسبية ثابتة لا تغير أي موضوع (الصراع الحضاري)، من خلال ثنائيات الشرق و الغرب أو الشمال و الجنوب، من زاوية واحدة و تعاملت مع الموضوع تعاملا أحاديا تكرر في أعمال متعددة، و من خلال دراسة الباحثين توصلوا إلى:

1_ محمد البصير: الموقف الثوري (1970 _1982) ،المرجع السابق، ص: 35 .

2_ ينظر لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ،المرجع السابق، ص: 30 .

إن البطل في كل الروايات سافر إلى بلدان أوربا بغية التحصيل العلمي و من أجل المعرفة، أو أنه قدم إلى الحواضر لطلب العلم، و هذا ما تجسده عدة روايات في تنقل بطلها من منطقة أو من بلد لآخر بغية العلم هذا ما سنتطرق إليه في رواية "الزلزال" للطاهر وطار التي هي موضوع بحثنا هذا.

والملاحظ أن جميع أبطال الروايات هم من الطبقة المثقفة المتعلمة بدون استثناء.

كل رواية عبارة عن سيرة ذاتية، و إن "لم يقدم بعضها بصيغة ضمير المتكلم أحيانا من أجل القارئ كي لا يقوم بعملية توجيه بين البطل و المؤلف". [1]

هذا ما عبر عنه سعيد علوش عن الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لم تكن إلا سيرة ذاتية لعدد من الكتاب أمثال: مولود فرعون في (ابن الفقير) و كاتب ياسين في (نجمة).

لأن الروايتين تعبر عن واقع الاستعمار و آثاره و ما عانى منه الشعب الجزائري فالروائي واحد من هؤلاء عبر عن أحداث جرت له بصيغة روائية جمالية.

" إن مسألة الصراع الحضاري في الأعمال الإبداعية اختارت إطارا مكانيا غربيا يرحل البطل مصطفى سعيد إلى لندن.

وهناك عنصر آخر من العناصر المشتركة في جميع الروايات هو التقاء البطل الشرقي بالمرأة الغربية الأوربية، و هي الصورة التي يكشف من خلالها خلفيات الحضارة الغربية، لأن نظرة الغرب إلى الشرق نظرة استعلاء. [2]

1_ إبراهيم عبد الله : الثقافة و المرجعيات المستعارة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، 1983 ، ص 27 .

2_ ينظر لينة عوض: تجربة الطاهر و طار الروائية ،المرجع السابق، ص: 23 .

" الشخصية الروائية على الدوام رجل إلا في استثناءات قليلة، لأن الرجل في الشرق هو المعني بمسألة الصراع، و لأن تأثره لا يتم إلا وفق طقس جنسي" هذا ما نلمحه في روايات الطاهر وطار، كاللاز و الزلزال، العشق و الموت في الزمن الحراشي، تجربة في العشق وغيرها...

البطل ليس لديه وسيلة لرد الاستلاب الحضاري الذي مارسته الحضارة الغربية على حضارته و مجتمعه، و إن كان رجلا مثقفا، لا يكون رد فعله إلا بما هو جنسي، فهو لن يرد كمثقف بل كذكر. [1]

_ ما نستخلصه أن الرواية من ركود لأسباب عديدة، ظلت أسيرة التوتر و الصدام أثناء فترة الاستعمار فالغرب كان يخضع للتفكيك و المساءلة، أما الرواية الجزائرية الحديثة تبعت مسارا مغايرا و مختلفا، ولا يفوتنا أن الرواية ما بعد الاستعمار أعادت التفكير في علاقة الأنا بالآخر و الشرق بالغرب، التوتر و الوفاق، و تذكر بجذور الصراع و تعيد الاعتبار لما عاناه المجتمع الجزائري.

1_ ينظر عبد الله إبراهيم: الثقافة و المرجعيات المستعارة ، المرجع السابق، ص 28 .

الفصل الأول

الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار

الفصل الأول

الرواية الجزائرية مابعد الاستعمار

تمهيد: الرواية الجزائرية أخذت اليوم مسارا مغايرا افتقدها الكثير من المكاسب التخيلية و الجمالية التي أسستها رواية التجريب و التحول مع بدايات الثمانيات، وهذه المغايرة المؤسسة على التخريب في أشد ابهاماته خاصة ذلك المتعلق بالواقع، والتاريخ، واللغة فأضحت منذ تسعينات القرن الماضي إما تسجل الواقع الدامي تسجيلا حرفيا، وإما تعود للتاريخ فتغرق فيه دون أن تشعر قارئها بأنه أمام فعل تحويل و خلق في الآن نفسه، و المباحث الآتية تبين الدراسة النظرية لنشأة الرواية في الجزائر ما بعد الاستعمار.

المبحث الأول: مـــــــاهية الروايـــــــة.

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار.

المبحث الأول: ماهية الرواية

1_ مفهوم الرواية:

تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء وتتشكل أمام القارئ، تحت ألف شكل،مما يعسر تعريفها، فإذا عدنا إلى اللغة العربية لنعرف جذور استخدام مصطلح "الرواية" نجدها كلمة مستحدثة إذا لم تكن مستعملة في اللغة العربية القديمة بتلك الدلالات الحديثة.

فهي تستمد اسمها مصطلحا من فعل (روى) حدثا أو خبرا أو حكاية، فهي بهذا المعنى إذن ذات جذور في التراث العربي القائم على القص و الحكي في النثر.[1]

أ_ لغة: روى: جاء في القاموس المحيط : "الحديث يروى رواية، ترواه".

وفي لسان العرب، يقال:" رويت القوم أرويتهم إذا استقيت لهم. ويقال: من أين ريتكم أي: من أين ترتوون الماء، ويقال: روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه. وجاء في كتاب الصحاح للجوهري: "أن الرواية التفكير في الأمر " ويقال: من أين ريتكم بالماء؟ أي من أين تروون الماء، ورويت الحديث و الشعر رواية، فأنا راوي.

وتقول: أنشد القصيدة يا هذا، ولا تقال اروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها.[2]

إن الأصل في مادة روى في اللغة العربية، هو جريان الماء، أو وجوده بغزارة، أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال، أو نقله من حال إلى حال آخر، من أجل ذلك ألفيناهم يطلقون على المزادة الرواية، لأن الناس كانوا يرتوون من مائها، ثم على البعير الرواية أيضا لأنه

1_ عمر بن قينة: الأدب العربي الحديث، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1999، ص: 97.

2_ ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 2003 ، مادة (ر.و.ي).

ينقل الماء فهو ذو علاقة بهذا الماء. أطلقوا على الشخص الذي يستسقي الماء، هو أيضا الرواية. [1]

ب_اصطلاحا:

تعني جنسا أدبيا محددا يشمل أقسام متعددة يسميها "عبد المالك مرتاض" أنواع في حين يطلق على الرواية جنسا، على اعتبار أن لفظة جنس أعم وأشمل من النوع يقول: "الرواية، من حيث جنس أدبي راق، ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل، تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكل لدى نهاية المطاف، شكلا أدبيا جميل يعتري إلى هذا الجنس الخطي، و الأدب السردي، فاللغة هي مادته الأولى، كمادة كل جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر، و الخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتسمو و تربو، وتمرع وتخصب،و التقنيات لا تعدوا كونها أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال ثم تشكيلها على نحو معين ولكون اللغة والخيال لا يكفيان وهما هامان في كل الكتابات الأدبية، من أجل ذلك تلقي الرواية من حين هي ذات طبيعة سردية قبل كل شيء، تتشد عنصر آخر هو عنصر السرد.[2]

يقول الباحث المغربي حميد لحميداني: "الميزة الوحيدة التي تشترك فيها جميع أنواع الروايات هي كونها قصصا طويلة".

هناك مميزات أخرى للرواية، ذكرها "فريناذير" على النحو الآتي:

1_ إن الحديث في القصة جرى في الزمن الماضي، أما في الرواية فيجري في الزمن الحاضر.

1_عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات السرد) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، ديسمبر 1998، ص:22.

2_المرجع نفسه، ص:27.

2_ و بالنسبة للأحداث فهي تسرد في القصة وفقا لمخطط سببي و زمني و تفسيري، أما الرواية فتركز على الشعور بكثافة الأحداث.

3_ إن ماضي الشخصية الروائية ليس إلا ذكرى، و مستقبلها مبهم، وتميز بغزارة المعلومات و الذكريات الكثيرة، بخلاف القصة التي تختصر جملة من الأحداث في عبارة واحدة.[1]

2_ نشأة الرواية:

أ_ عند الغرب: و لقد ازدهر هذا النوع من الرواية أثناء القرن السادس عشر، و ذلك كمعظم الأنواع السردية الأخرى، في وقت كانت السلطة السياسية فيه آيلة إلى البرجوازية، مع العلم أن التاريخ لم يعالج في أوروبا على أنه علم من العلوم الإنسانية إلا خلال القرن 18 م.[2]

لم تتحقق الرواية باعتبارها جنسا أدبيا الاستقلال، و تتميز بوجودها و شكلها الخاص في الأدب الغربي و العربي إلا في العصر الحديث، حيث ارتبط مصطلح الرواية بظهور و سيطرة الطبقة الوسطى في المجتمع الأوروبي في القرن الثامن عشر، فحلت هذه الطبقة محل الإقطاع الذي تميز أفراده بالمحافظة و المثالية و العجائبية، و على العكس من ذلك، فقد اهتمت الطبقة البرجوازية بالواقع و المغامرات الفردية، و صور الأدب هذه الأمور المستحدثة بشكل حديث اصطلح الأدباء على تسميته بالرواية الفنية في حين أطلقوا اسم الرواية غير الفنية على المراحل السابقة لهذا العصر، حيث تميز الأدب القصصي منذ القديم بسيطرة أدب الطبقة الحاكمة، ولا تمثل القصص المعبرة عن الخدم و الصعاليك إلا استثناء لا يمكن القياس عليه.

1_حميد لحمداني:الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، (دراسة بنيوية تكوينية)، دار الثقافة، الرباط، المغرب، ط1، 1985، ص:80.

2_مفقودة صالح: نشأة الرواية العربية، مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،ع2،جامعة بسكرة،2005،ص 54.

فالسمة البارزة للرواية الفنية انكبابها على الواقع، و عليه فالرواية تبدأ في أوروبا منذ القرن الثامن عشر حاملة رسالة جديدة هي التعبير عن روح العصر، و الحديث عن خصائص الإنسان و هناك من يعتبر رواية دون كيشوت " لسرفانتس" أول رواية فنية في أوروبا، كونها تعتمد على المغامر و الفردية.[1]

فقد نشأت الرواية الأوروبية عند تحطم التكامل بين الإنسان و عالمه، و ظهرت الحاجة إلى قصة يبحث بطلها المغترب عن عالم أكثر تكامل تحقق رغباته، وجعلتها شكل من أشكال المفارقة تتجسد في توتر المسافة بين الواقع الملموس و المثال الغائب وفي توتر هذه المسافة لرواية تولدت الرواية و مع تنازل الخط البياني للإيديولوجية البرجوازية تفكك هذا الشكل الروائي وظهرت واقعية جديدة نتج عنها رواية جادة ذات مستوى رفيع بعد1948 .[2]

ب_عند العرب:

الواقع أننا نستطيع أن نقسم دراسة الرواية العربية إلى عدة مراحل، فهي تبدأ أولا بمرحلة كتب الأخبار التي ظهرت في العصر الأموي و استمرت إلى العصر العباسي... وهذه تدل على خصائصها و تبني ملامحها كتب " وهب بن منبه" و عبيد بن شرية من خلال " ابن هشام "، و تأتي بعد ذلك مرحلة التأليف المعاصر في أواخر العصر الأموي و أوائل العصر العباسي، في مثل " كليلة و دمنة "، و سيرة " ابن إسحاق " التي يقدمها للأدب العربي " ابن هشام " ، ثم يظهر في القصص الشعبي المجمع في أمثال كتاب " ألف ليلة و ليلة ".

و نلمح آخر الأمر صورة من الرواية العربية في سيرة عنترة.[3]

1_ ينظر مفقودة صالح: نشأة الرواية العربية ، المرجع السابق، ص: 5_6 .

2_ جورج لوكاتش: نظرية الرواية، الحروف للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2012، ص:75 .

3_ فاروق خورشيد: في الرواية العربية عصر التجميع، دار الشروق، ط3، 1998 ، ص:75 .

حيث حفلت أعمال كتاب عديدين بذلك، فنقلت خبرات، وعكست أوضاعا، وصورت أحداثا، كثيرا ما لعب فيها الخيال دورا مهما بمستوى المرحلة فنيا، كما نرى في بعض الأعمال (الجاحظ) مثل (كتاب الحيوان و البخلاء) ومقامات (الهمذاني) و(الحريري) التي خطت خطوات متقدمة في فن (الروي) أو (القصة) لحدث أو أحداث، تقوم بالبطولة فيها شخصية خيالية ذات جذور في الواقع، مستهدفة جوانب تعليمية وإمتاعه بتصوير أوضاع وحالات اجتماعية، مع (استعراض) لغوي على مستوى المفردة والعبارة، (الروي) بعد آخر شعريا على يد (أبي العلاء المعري) في (رسالة الغفران) بطابع فكري فلسفي، فيبقى شكل (الحكي) و(القص) في ذلك كله المطية التي لم يتجاوزها في العصر الحديث " ناصيف اليازجي": في (مجمع البحرين) و" محمد المويلحي" في مقاماته " حديث عيسى بن هشام " الذي بقي مرتبطا ارتباطا وثيقا بصناعة " الهمذاني" في صياغة (الحدث) وتنوعه، وإطاره اللغوي، لكن مع إضافة ذات شأن، هنا هي محاولة (المويلحي) الاقتراب من (الواقع) الماضي أو الحاضر، وعمله للاقتراب من مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، بخلفياتها العديدة: السياسية و الاقتصادية و الثقافية نتائجها الفكرية و النفسية و سواها.[1]

إذ كان لاتصال الشرق بالغرب يد قوية في بعث هذا اللون من الفن الأدبي، وقد حرر ذلك الاتصال شعور الشرقيين وعقليتهم وطور شخصياتهم في عالمي الفكر والاجتماع، وأخذ يؤتي ثماره في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان للصحف والمجلات كما كان للطباعة فضل جم في نشر القصص الغربي ونشر المحاولات الشرقية الأولى، وهناك مجلات أفردت للقصة بابا خاصا كالجنان " لبطرس البستاني"، وهكذا ساعدت الصحافة في نشر القصة في العالم العربي وكانت الترجمة تساعدها على أداء رسالتها.[2]

1_ ينظر عمر بن قينة: الأدب العربي الحديث،المرجع السابق، ص: 97_ 98 .

2_حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986،ص:24.

ج_في الجزائر:

الحديث عن الأدب الجزائري جزء من كل هو الأدب العربي عموما للجذور المشتركة الضاربة في العمق، رغم الفروق الشكلية بين أقطار الوطن العربي، وهي فروق لا تلغي طبيعة التلاحق و التكامل: فكرا و فنا، في كل الأنواع الأدبية، ومن هذه الأنواع الرواية نفسها، لاعتبار المنبع الحضاري، ومساره الإنساني العام.

فالرواية الجزائرية الحديثة النشأة غير مفصولة إذن عن حداثة هذه النشأة في الوطن العربي كله، مشرقه و مغربه، سواء في نشأتها الأولى المترددة، أو في انطلاقتها الناضجة، ولم تأتي هذه النشأة عموما بمعزل عن تأثير الرواية الأوروبية بأشكال مختلفة، وهي نشأة تختلف ظروفها بطبيعة الحال من قطر عربي إلى آخر، من دون أن نسهو عن جذورها المشتركة عربيا، أولا: في صيغ القص في القرآن الكريم، و السيرة النبوية، و ثانيا: في البذور القصصية مقامات (الهمذاني) و(الحريري) التي ترجمت إلي عدة لغات، مثل الانجليزية و الفرنسية و الألمانية، فضلا عن الفارسية و التركية.[1]

ولا يمكن بأي حال من الأحوال تناول نشأة و تطور الرواية الجزائرية بمعزل عن الوضع الاجتماعي و السياسي للشعب الجزائري. وبطبيعة الحال فإن استعراض التاريخ النضالي للشعب الجزائري أمر في غاية الصعوبة لتراكم الأحداث وتشابكها.[2]

1_عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، (تاريخا، أنواعا،وقضايا، وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، ط5 ،1995م، ص: 165 .

2_ مفقودة صالح: نشأة الرواية العربية ، المرجع السابق، ص: 13.

ولا نستغرب أن تكون الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية أسبق في ظهور الرواية المكتوبة باللغة العربية لأن كل ما هو عربي، كان مكبوتا، و لكن هذا لا يعني أن الرواية التي كتبها الجزائريون آنذاك_ رأي في بداية القرن _ ، كانت تعبر عن أفكار هؤلاء الكتاب الجزائريين و معاناتهم بطريقة فنية، وإنما هي مجرد بدايات فجة و بسيطة في لغتها و مضمونها،بل هي تصب في المنظور الاستشراقي لكتاب الرحلات و قناصي المناظر السياحية، و مختلف التنويعات المدهشة لحياة الناس في الأماكن القصية نذكر من هذه الأعمال الأولى، رواية الكاتب الجزائري حاج حمو(أخ الطاووس)، ثم ظهرت روايات أخرى لروائيين آخرين، أمثال (ابن الشيخ) و(عيسى زاهر) وغيرهم ومهما يكن من الأمر فإن هؤلاء الروائيين نظروا إلى مجتمعهم من وجهة النظر الأوروبية مقدمين بذلك إنتاجا أدبيا بالمفهوم الإزدرائي.

بالرغم من سلبية الاستعمار التي أخرت الجزائر و غيرها، إلا أننا نسجل جانب ايجابي له فهو الذي أيقظ الجزائريين من سباتهم و أخرجتهم من غفلتهم اكتشفوا فجأة طبيعة الذلة في العيش تحت الحكم الأجنبي فكان رد الفعل ذا وجهين، إحداهما سلبي تمثل في الهجرة إلى الخارج و الثاني ايجابي تمثل في المقاومة المسلحة و المقاومة الفكرية ذات الطابع الديني.[1]

إن هذه الأحداث المؤلمة، قد تمخضت عن الميلاد الفعلي للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، في أرقى سماتها وأنواعها الفنية المتميزة، وهذا يدل على أن الأديب الحقيقي يمتلك وعيا سياسيا و إنسانيا عاليا، يوظفه في أصعب الظروف، لالتقاط المفاصل التاريخية الكبرى في حياة الشعوب و الأمم و على الرغم من اتساع استعمال اللغة الفرنسية، فان الدارسين يتفقون على أن أول رواية "ابن الفقير" "لمولود فرعون"قد ظهرت عام 1950. [2]

1_ إدريس بودبية: الرؤية والبنية الفنية في روايات الطاهر وطار، دراسة نقدية، قسنطينة، ط1، 2000م، ص:13 .

2_ عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص: 10.

3_ مراحل تطور الرواية الجزائرية:

يمكن و نحن بصدد الحديث عن نضاله أن نتحدث عن فترتين هما:

أ_ فترة ما قبل الاستقلال.

ب_ فترة الاستقلال و استعادة الحرية.

أ_ فترة ما قبل الاستقلال:

يمكن الحديث عن شكلين من أشكال مقاومة الشعب الجزائري للمستعمر أحدها سياسي و الثاني مسلح ، النشاط السياسي السلمي يبدأ مباشرة عقب الاحتلال توقيع " الداي حسين" على معاهدة الاستسلام في(05 جويلية 1830)، حيث حاول " حمدان خوجة " تكوين ما يمكن أن يعد أول حزب وطني يعرف بلجنة المغاربة، و قد نشطت الحركة السياسية و تعددت الأحزاب في النصف الأول من القرن العشرين على الخصوص متخذة التيارات الثلاثة الآتية :

_ التيار الأول: كان يطالب بتحقيق المساواة بين الأغلبية الجزائرية و الأقلية الاستعمارية، و نادى بذلك الأمير" خالد " حفيد " الأمير عبد القادر" خلال الحرب العالمية الأولى، ثم تطور مطلب هذا التيار إلى التجنيس و الاندماج و نادى بذلك " بن جلول" و " فرحات عباس"، و بعد الحرب العالمية الثانية تطور هذا التيار في إطار الاتحاد الديمقراطي للبيان، الذي أخذ يطالب بإقامة جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا في اتحاد فيدرالي.[1]

1_ مفقودة صالح: نشأة الرواية العربية ، المرجع السابق، ص: 14.

ـ التيار الثاني : وهو استقلالي، برز بعد الحرب العالمية الأولى، ممثلا في نجم شمال إفريقيا، و كان يتشكل من العمال الكادحين المهاجرين في ديار الغربة، ثم انتقل إلى الجزائر فبرز في الثلاثينات باسم حزب الشعب الجزائري، و تجدد بعد الحرب العالمية الثانية باسم حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و كان من بين تشكيلاته من بين تشكيلاته من كلفوا بالإعداد للثورة المسلحة.[1]

ـ التيار الثالث : هو تيار إصلاحي اجتماعي، تمثل في جمعية العلماء المسلمين التي تأسست في الثلاثينيات، و لعبت دورا بارزا في إعلاء المفهوم الوطني الجزائري، و تأكيد عروبة الجزائري و عدت هذه الحركة الأب لاستقلال الجزائر.[2]

إن المقاومة المسلحة قد انطلقت منذ احتلال الجزائر في شكل ثورات متلاحقة نذكر منها ثورة متيجة، مقاومة " الأمير عبد القادر "، وثورة الفلاحين (1871) و غيرها من الثورات.

و لقد حدثت شبه قفزة بعد الحرب العالمية الأولى و بالضبط بعد انتفاضة 1845، التي استطاعت أن تبلور الوعي الجماهيري و تعمقه لتدفع به أكثر إلى الأمام و يضاف إلى ذلك الزحم الثوري لمختلف الانتفاضات عبر التاريخ الجزائري على رأسها ثورة الفلاحين. [3]

وفي هذا المقام نشير إلى المحطات البارزة في تاريخ الشعب الجزائري و يمكن أن نحدد منها محطات ثلاث هي:

1_ مفقودة صالح: نشأة الرواية العربية ، المرجع السابق، ص: 14.

2_ مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، ط2 ، 2009 ، ص: 48.

3_ عايدة يمينة: تطور الأدب القصصي:(1925ـ 1967) ، ترجمة: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص: 20.

1_ ثورة الفلاحين (1871_ 1916).

2_ أحداث 8 ماي 1945.

3_ ثورة نوفمبر (1954 _ 1962).[1]

ب_ فترة الاستقلال و ما بعده:

إن الرواية الجزائرية استطاعت أن تبلور معالم الواقع الثوري إبان الثورة الجزائرية المسلحة، و أثناءها، وفي زمن الاستقلال، و لعل هذا الواقع بحركته قدم للروائيين الجزائريين مادة غنية ساعدتهم في عملية الإبداع و التكوين، والرواية الجزائرية لم تتمكن من التخلي عن وقائع و أحداث ثورة نوفمبر (1954 _ 1962) حتى الآن، فهي مد كبير للروائي الجزائري الذي مازال يستفيد من أحداث واقعها _ حدثا و تاريخا_ حتى في معاناته لواقع البناء و حركة التعبير الاجتماعي، و هذا ما يجعلنا نقول إن الحدث الروائي _ و ليست الحادثة_ في الجزائر ذات أصول واقعية، ولا نقصد هنا التصوير الفوتوكوبي، وإنما العمل الإبداعي المجسد بالتكوين الذي يوازي التصوير بنوعيه الحسي والفوتوغرافي في معايشته لمجريات الواقع.[2]

لذلك فان البدايات الحقيقية التي يمكن أن تدخل في مفهوم الرواية هي التي ظهرت منذ سنوات قليلة، أي في السبعينات.[3]

1_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق،ص: 62 .

2 _أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1 ،2006، ص: 86.

3_ عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830 ـ 1974، المرجع السابق، ص:201.

_ و ارتبطت برواية " ريح الجنوب " وقد كتبها " عبد الحميد بن هدوقة " في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية، فأنجزها في (5 نوفمبر 1970) تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته، و رفع الضيم عن الفلاح، و دفع كل أشكال الاستغلال للإنسان، و سرعان ما تكرس ذلك الخطاب الطويل، الذي هلل له الإعلام كثيرا، في قانون الثورة الزراعية الصادر رسميا في (08 نوفمبر 1972) ثم دخل التطبيق الفعلي، فدشن الرئيس " هواري بومدين" في (17 جوان 1972) أول تعاونية الثورة الزراعية في قرية (خميس الخشنة) قرب مدينة (الجزائر)، ثم شرع في بناء القرى الاشتراكية في (عين نحالة) بتاريخ (17 جوان 1975). [1]

_ و "ريح الجنوب" تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض و بالمرأة، و بنضال الأفراد من أحل الحياة و المستقبل كما تعالج الدوافع الشخصية و التصرفات التي تحرك الإنسان و تقوده إلى مصيره، ثم تعرض الجانب الشرقي للإنسان وصراعه الدائم ضد رواسب الماضي ومحاولته للتفوق على نفسه و لكنه سباق إلى نهاية لا يريدها لأن الظروف أقوى منه.[2]

_ ومن خلال ما تطرقنا له سابقا ارتأينا أن الرواية الجزائرية قد ولدت و نمت قوية في كنف الواقع المرير المعاش من طرف الاستعمار.

إذا كان لابد للأدباء شكل جديد للتعبير يمكنهم من الاتصال بالجمهور و يكون بمثابة الوعاء الذي يحتوي على جميع قضايا الحياة الاجتماعية التي تمثلت في الثورة و ما تحتويه انتفاضات عبر التاريخ و على رأسهم انتفاضة 1945 التي غيرت مسار الحركة الوطنية و الأدبية، فهي الفترة التي شهدت اكتمال فن الرواية الجزائرية.

1_ عمر بن قينة: الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص: 198.

2_ عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830 ـ 1974، ص: 201.

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار

1_ الايديولوجيا ما بعد الاستعمار:

إن كل ما نحتاجه لكي نغير حياة الناس هو تغيير أفكارهم، و تحديد الطريقة التي نتموقع بها داخل التاريخ لكي نقيم الصلة مع انتصاراتنا المتجهة نحو المستقبل، و تقاليدنا التي ورثناها عن الماضي.

لكن ما إن ظهر موضوع بحث مفيد، هو " كون المتخيل الاجتماعي أو الثقافي أنه يتدخل و بفعل، أحيانا في شكل إيديولوجيا أو يوتوبيا، و محاولة فهم أو التفكير في إحداهما أمر صعب، و لكننا سنكتفي بتعريف الايدولوجيا على أنها صيرورة الالتواءات و اختفاءات التي بواسطتها نخفي عن أنفسنا وضعنا الطبقي مثلا.[1]

ولعل أبرز الأنواع الأدبية التي تجلت فيها الإيديولوجيا بشكل كبير هو جنس الرواية و عرفت العلاقة بين الرواية و الايدولوجيا جدلا نقديا كبيرا امتدت جذوره الأولى إلى نشأة النص الروائي و علاقته بالواقع الاجتماعي، و بصورة التاريخ كخطاب أدبي جمالي حامل لصور و مفاهيم من التاريخ، الأمر الذي جعل التنظير للرواية كنمط إيديولوجي ضمن حقل معرفي (ابستيمولوجي) يشكل نسقا شاملا، و تستوعب أيضا سوسيولوجيا النص باعتباره بنية تامة تتجاوز فيها الإيديولوجيات "الصورة" عبر التشكيل اللغوي، لتأخذ طابعا صداميا يؤول إلى بناء دالة تمثل عمق النص.

يرى التحليل السوسيولوجي أن الرواية ارتبطت في نشأتها بظهور المجتمع البرجوازي و انتصار نمط الإنتاج الرأسمالي، حيث يخوض الفرد صراعا جديدا ضد قوى مجردة كالعلاقات الاجتماعية الرأسمالية، و القيم الاستهلاكية أدى إلى افتقاد الوحدة العضوية بين

1_ شكري عزيز الماضي: محاضرات في نظرية الأدب، دار البحث للطباعة و النشر، ط1، 1984، ص98.

البشر وتحويلهم إلى فئات يقوم كل منها بعمل محدد، وأصبح الواقع المعيشي متدهورا يصعب معه تطور الطابع الروحي الإنساني، و أدى التقسيم الرأسمالي للعمل إلى انقسام " الشخصية الإنسانية إلى عالم داخلي و عالم خارجي، فهو يدمر تلك الوحدة البدائية للرابطة العشرية باعتبارها مضمونا و شكلا لوحدة الفرد و المجتمع" و تحولت روح الإنسان من التعبير الشعري الملحمي إلى نثر يصور الشخصيات الإنسانية في صراعها و كفاحها، فكانت الرواية ملحمة برجوازية حديثة، و عرفها الناقد "جورج لوكاتش" بأنها: "النوع الأدبي الذي يستطيع أكثر من غيره الارتباط بالحياة البرجوازية". [1]

والرواية بموجب ظروف نشأتها تمكنت من رصد التناقضات الاجتماعية و الكشف عن خبايا الأزمات الكبرى التي عرفتها أوروبا اثر حركات تطور المجتمعات الصناعية ، وقد كشف النقاد و خاصة "الماركسيون" عن جدلية تطور العلاقة بين الرواية و الواقع في عكس الإيديولوجية السائدة، و دعا "لوكاتش" إلى ضرورة التفريق بين الإيديولوجية الكاتب بوصفه إنسانا، و إيديولوجية كتاباته التي لا تخضع إلا لمنطق الكتابة و نسيج الدلالات". [2]

كما ارتبطت الرواية الجزائرية بالخطاب الإيديولوجي ارتباطا وثيقا، مثلها في ذلك الرواية العربية التي سايرت التطورات الاجتماعية و السياسية و الثقافية في المجتمع العربي انطلاقا من " رؤية إيديولوجية صراعية تبحث في نزعة الواقع المستحدث الذي هو واقع مليء بالتناقضات، فظهرت كتابات تركز على قراءة الواقع قراءة إيديولوجية سياسية محاولة تجاوز الواقعي، إلا أنها مرتبطة به حيث تظل مصرة على الخطاب السياسي" .[3]

1_ سيد البحراوي : علم اجتماع الأدب، دار نوبار للطباعة ، القاهرة، ط1 ، 1992، ص14.

2_ الطيب بودربالة و السعيد جاب الله : الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، عدد 07، 2005، ص55.

3_ مشري بن خليفة : سلطة النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000، ص109.

ثم إن الأدب هو بالضرورة انعكاس ايجابي لحركة الواقع و ما حدث بالنسبة للرواية الجزائرية المعاصرة إنما هو في حقيقته ترجمة أمينة لهذه المقولة، لذلك فإننا حين نقرأ الحصاد الروائي لهذه المرحلة على الرغم من تنوع مذاهبه و اتجاهاته نجد أن القضايا السياسية تحتل مكانة بارزة في محاور تلك الروايات و مضامينها، ونجد هذه سمة في الروايات المكتوبة بالفرنسية و العربية على حد سواء، مما يؤكد غلبة الرؤية السياسية على الإنتاج الروائي الجزائري.

إن هذه العناية بتصوير القضايا السياسية نجدها عند " الطاهر وطار" فقد حاول في كتاباته الروائية رسم خط تاريخي للتطور الإيديولوجي في الجزائر، فانتقل من خطاب الثورة و تصوير ما حدث في مرحلة النضال مع المستعمر الفرنسي إلى التعبير عن مشكلات ما بعد الاستقلال و إدانة أساليب القهر السياسي الذي يسيطر على الحياة السياسية، و يحد من حرية الإنسان و يعتدي على حقوقه الإنسانية، و يمنعه من تناول أمور مجتمعه و ذلك في إطار " تقديم وعي الطبقة المثقفة بمسألة السلطة و تصورها للعلاقات الاجتماعية و الثقافية القائمة في المجتمع أو تلك التي ينبغي أن تقوم مستقبلا".

ويبقى الخطاب الإيديولوجي مدارا يستقطب إشكاليات الرواية الجزائرية بعوالمها الواقعية و المتخيلة إزاء تهافت الواقع السياسي في الجزائر خاصة خلال فترة الحداثة التي شهدت جملة من الأحداث الساخنة و التحولات المتسارعة المحلية و العالمية، فقد أصبحت " قضايا الفكر و مشكلات الإيديولوجيا هي القيمة الرئيسية و المحور الغالب عند كثير من كتاب الرواية العربية الكتاب يهدفون إلى القيام بوظيفة تسييس القارئ أكثر من حرصهم على إمتاعه و تسليته" لذلك نلاحظ تفوق الوعي الإيديولوجي لديهم على الوعي الجمالي.[1]

1_ علال سنقوقة: المتخيل و السلطة، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر، ط1 ، 2001، ص14.

إن عملية الإبداع عن كثير من الأدباء تتشكل في واقع اجتماعي ملبد بالعواطف و الأعاصير و الزلازل و البراكين من أجل ذلك كله نجد معظم كتاب الرواية يتوجهون بجرأة نحو كشف مواطن السقوط و مراكز العفن في الواقع،[1] فإذا كان نقد الواقع السياسي العربي قد تشكل أهم ظاهرة إيديولوجية في الرواية، فان حضور الايدولوجيا ليس شيئا غريبا عن النص الروائي، إنها جزء أساسي من عالمه التخيلي يوهم القارئ بالواقعية و الحقيقة الإنسانية

" لا تستطيع تصور رواية بلا إيديولوجيا، و لا تستطيع أن ترى الايدولوجيا دون أن تكون متضمنة في خطاب لساني ذي وظائف جمالية أو اجتماعية أو تاريخية أو سياسية فهذا الطابع الإشكالي يتيح للنص الروائي فهم علاقاته الداخلية وارتباطاته الإشكالية الخارجية ".[2]

غير أن الاختلاف يتجلى في المنطلقات الإستراتيجية التي يعتمدها الكاتب في توظيفه للفكرة الإيديولوجية حيث " تتداخل القيم الجمالية و تتضافر مع الأفكار الإيديولوجية في الرواية السياسية، و أغلب كتاب الرواية يغلب عندهم الوعي الإيديولوجي على الوعي الجمالي".[3]

إذن الرواية الجزائرية قد غلبت عليها " قضايا السياسة " و المشكلات الإيديولوجية و تحديدا على نصوص " الطاهر وطار" الذي بدا أمرا طبيعيا يحكم قضايا الواقع و تعقد المشكلات الفكرية و الاجتماعية.

1_ طه وادي: الرواية السياسية، الشركة المغربية العالمية للنشر و التوزيع، لونجمان، القاهرة، ط1 ، 2003، ص:84 .

2_علال سنقوقة: المتخيل و السلطة، المرجع السابق، ص:42.

3_ طه وادي: الرواية السياسية،المرجع السابق، ص:32 .

2_ الرواية الجزائرية المكتوبة باللغتين:

أ_ بلغة المستعمر(الفرنسية):

تعتبر فترة الخمسينات فترة ظهور الرواية الجزائرية الناطقة بالفرنسية، لأن الجزائر كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي و قبلها اهتم الفرنسيون بعادات و تقاليد الشعب الجزائري لمعرفة نقاط ضعفه.

بدأت الرواية الاستعمارية تنشط، حيث تطورت لدى الكتاب صورة لم تفقد معالمها الأساسية لأنها تعكس إيديولوجية الاستعمار الفرنسي، في أدب يمجد الرجل الأبيض و يبيد الهنود.

ونجد عددا من الأدباء الذين أسسوا للرواية الاستعمارية، و التي تحقق القتل الرمزي للجزائر.

انتقل الأدب الانتوغرافي في الجزائر المستعمرة، فمن العسكريين انتقل الأدب إلى المدنيين الذين كانوا يتحدثون عن أناس لا يرونهم أو قليلا ما يرونهم يظهرون انطباعاتهم مشغوفة بآرائهم التي في كثير من الأحيان تجانب الصواب.

نلاحظ أن تلك الفترة حدث تحول من خلال استلام المذنبين موضوع الرواية لنقل أحداث الثورة و التعريف بها.

جاء دور الكتاب الجزائريين بعد الكتاب الفرنسيين الذين شغلوا تلك الفترة، و هم كتاب تخرجوا من المدرسة الفرنسية، و ينحدرون من أسر ميسورة الحال أمثال: عبد القادر حمو، أحمد شكري خوجة، محمد ولد الشيخ، و رابح زناتي.[1]

1_ سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت (لبنان)د.ط، 1967 ، ص: 106.

ولأن طبيعة المناخ كانت فرنسية فبالضرورة، مدارس فرنسية، و ثقافة و لغة فرنسية مهيمنة و مسيطرة على الوضع أصبح الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية ذو بعد استثنائي عظيم عندما بدأ يعطي الأولوية و الصدارة للمسألة الوطنية، بحيث هي جزء لا يتجزأ من كيانه.

نرى الكتاب الناطقين بالفرنسية اتخذوا الثورة قضية محورية لكل الكتابات التي أنتجوها.

يرى الدكتور مرتاض عبد الملك أن هؤلاء الكتاب الجزائريين في معظمهم بالفرنسية معجبين و متأثرين بالحضارة الفرنسية و الحضارة الغربية بشكل عام متجاهلين التاريخ الجزائري، غير مسلمين بالحضارة الإسلامية.[1]

" تلقى مرتاض عدة انتقادات لوجهة نظره هذه من الكتاب و النقاد و رأوا أن هناك نخبة من الروائيين غاصوا بجدارة في تاريخ العرب والإسلام، بكل وعي و دراية بالتاريخ العربي الإسلامي".

يقول الأديب الجزائري مراد بوربون: ((أن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسيين، و ليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة، بل إن أية لغة إنما تكون ملكا لمن يسيطر عليها و يطوعها للخلق الأمي أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية)).[2]

الأديب أصاب فيما قال لأن الجزائر كانت تعيش ظرفا خاصا، و اللغة وسيلة للدفاع عن الوطن.

1_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،المرجع السابق، ص:69 .

2_ المرجع نفسه، ص:70 .

وتقول في نفس المجال آسيا جبار((إن مادة قصصي ذات محتوى عربي و تأثيري بالحضارة العربية و التربية الإسلامية لا يحد، فأنا إذن أقرب إلى التفكير بالعربية الفصحى مني إلى التفكير بالفرنسية دون إنكار لفضل اللغة)).[1]

إن فترة ما بعد الاستعمار شهدت أعمالا روائية تابعة لفترة الاحتلال، وظلت الأعمال الروائية المكتوبة بالفرنسية تتخذ من الثورة إطارا عاما لها و لأحداثها.

وتنتمي الأعمال الروائية التي ظهرت بعد الاستقلال، و حتى نهاية الستينات إلى الاتجاه الملتزم و المنحاز إلى الثورة و واقعها المسلح، من تصوير لعمليات المقاومة الفدائية في المدن مثل ما نجده في رواية " أطفال العالم الجديد" 1962 لآسيا جبار، و ضرب القرى و المداشر بالمدافع و الطائرات، تهديم المنازل على رؤوس أصحابها مثل ما هو الحال في رواية " الأفيون و العصا" 1965 لمولود معمري، ووصف الحياة الصعبة داخل السجون و المعتقلات و تنظيم عمليات الهروب كما هو الشأن في رواية " أصابع النهار" 1967 لحسين بوزاهر و أسلاك الحياة الشائكة 1969 لصالح فلاح.

كل هذه الأعمال صورت لنا واقع المجتمع الجزائري و معاناته من بطش و بشاعة أعمال المستعمر. [2]

ومن جهة أخرى نجد هذه الأعمال الروائية تشيد بكفاح الشعب، و تتغنى بأمجاده و مآثره القديمة و الحديثة، و تعمق الإحساس بالوعي الوطني و وحدة الأمة.

1_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 71.

2_ أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره و قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2001، ص: 111 .

وبدأ يظهر بعد منتصف الستينات، ضمن أدب الجزائريين المكتوب باللغة الفرنسية، توجه جديد لا سيما في الرواية لأن معظم الأعمال الروائية تعرضت لموجة من الانتقادات و احتجاجات لهذا الفن فنذكر بالخصوص أعمال محمد ديب الروائية التي ظهرت في الفترة الممتدة ما بين 1968و 1973: رقصة الملك (1968)، و اله أرض البربر(1970) و معلم الصيد (1973) و المؤذن لمراد بوربون (1986) و التطليق (1969) و ضربة شمس لرشيد بوجدرة (1963) و موت صالح باي (1980) لنبيل فارس.

نلاحظ أن جل الأعمال الروائية يجمعها قاسم مشترك واحد هو الخطاب الشديد اللهجة للأوضاع السياسية و الاجتماعية في الجزائر.

" استمر هذا التوجه الانتقادي أو الاحتجاجي حتى وفاة هواري بومدين في أواخر شهر ديسمبر (1978)، و نجد ذلك بارزا في روايات رشيد ميموني في رواية "النهر المحول" (1982) و تسير الرواية إلى تحول على يد العسكر عن مسارها النضالي ذي الطابع الشعبي، و أهدافها الاجتماعية".[1]

نلاحظ أن معظم الروايات ما بعد الاستعمار غلب عليها طابع تحليل الخطاب الاستعماري و محاولة التخلص من آثاره.

" أما في روايات "الطاهر جاوت" الباحثون عن النظام" (1984) كان الأمر أكثر إبلاغا و غموضا و بلهجة أقل حدة إلى حد ما رواية منزوع الملكية (1981) حيث يعاني فيها البطل أزمة هوية، تبعية تجديدية وسيلة التعبير الأساسية هي اللغة".[2]

1_ ينظر أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي،المرجع السابق، ص: 120_121 .

2_ المرجع نفسه، ص: 121 .

فإشكالية الهوية شكلت هاجس الجزائريين و كان الحلم صعب تحقيقه لاستعادة الهوية الوطنية من أيدي المغتصبين.

وبعد مظاهرات أكتوبر 1988 و صدور دستور 23 فبراير 1989 الذي سمح بالتعددية السياسية، بروز رواية شرف القبيلة لرشيد ميموني(1989) حيث وصف السلوكيات التي يقوم بها المسؤولون و إطارات و مناضلو الحزب، التي كانت تتميز بالنفاق و تشجع على انتشار الانتهازية و الرشوة.

و خلال السبعينات طرحت أهم مسألة وهي مسألة الهوية الوطنية، و الأمازيغية بالتحديد، حيث عبر عنها بشكل مباشر، مولود معمري في روايته الأخيرة العبور (1982).

نلاحظ أن عدة روايات في هذه الفترة طرحت مشكل الهوية خاصة الأمازيغية مع العربية التي شكلت جملة من النقاشات خاصة قضية الدين الإسلامي.

"فمثل هذه الأعمال نجدها في رواية ذاكرة الغائب(1974) لنبيل فارس، و المنفى و الحيرة (1976) التي تطرح العديد من الأسئلة حول الهوية الجزائرية المستلبة، و الثقافة الأصلية المغيبة، و هذا ما أشار إليه الطاهر جاوت في روايته اختراق الصحراء (1987)".[1]

نجد أن التاريخ الإسلامي متعلق بالهوية الجزائرية ولا يمكن الفصل بينهما فالإسلام تاريخ الجزائريين لا يمكن تغييره أو تجاهله.

"صارت موضوعات الثورة تقليدية، في حين ظل الأدب مهادنا للسلطة و نقف عند هذه الروايات المتأخرة" المغارة المتفجرة(1979) " لآمنة مشاكرة، و التمزق(1980) و الامتحان

1_ ينظر أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي،المرجع السابق، ص: 123 _ 124 .

الأخير(1983) لمحمد شايب و عصابة الأطلس(1983) و أسود الليل (1985) و الأطلس يحترق(1987) لعز الدين بونمور".

كل هذه الروايات ظلت تأخذ موضوعاتها من الواقع المعيشي و الحياة اليومية للمجتمع الجزائري، و ترصد التحولات التي تحدث من حين لآخر.

"وهناك موضوع ظل حاضرا على الدوام في الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، و هو موضوع السيرة الذاتية للمؤلفين على سبيل المثال رواية " الشمس تحت الغربال" (1982) و النظرة المجروحة (1987) لرابح بالعمري، و رأس المحنة (1991) لعبد الرحمان الوناس".

أما في مطلع التسعينات، و مع صعود المد الإسلامي،" أخذت الأعمال الروائية تنتقد هذا المد نقدا لاذعا، و تصوره في شكل خطر سياسي و اجتماعي يهدد الديمقراطية و الحريات العامة".[1]

من ثمة ظهرت روايات تصدت لهذا المد و حاربته بكل الوسائل و شتى الطرق.

" وتعد أعمال رشيد ميموني من أبرز النماذج في هذا الصدد في مجموعته القصصية و الروائية، و الحقيقة أن نقد الدين كان قد تجلى في أعمال روائية سابقة كرواية "بولنوار" لرشيد ميموني مرورا "بالمؤذن" لمراد بوربون، وصولا إلى "اختراق الصحراء" للطاهر جاوت".[2]

1_ ينظر أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع السابق، ص:124_125.

2_ المرجع نفسه، ص: 126 .

لاحظنا من خلال الأعمال الروائية أن أسلوب النقد يتغير حسب رأي و وجهة نظر الروائي، و حسب عقيدته.

"لابد لنا قبل أن ننهي الحديث عن التطور الذي عرفته الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ما بعد الاستقلال أن نشير إلى أسماء كتاب جدد من أصل جزائري و عاشوا في فرنسا، و هم من معظم أبناء العمال المهاجرين ممن أصبحوا يعرفون باسم "البور" أو "الجيل الثاني" أمثال: ليخا و بقرط، علي غانم، جانيت لشمط، أكلي كآجر، محمد كتري... و غيرهم". [1]

إن فترة ما بعد الاستعمار عرفت تنوعا في المواقف و الرؤى، حول مختلف القضايا الاجتماعية و الفنية... وغيرها.

إن الكتابة باللغة الفرنسية أدت إلى فتح عدة مجالات اقتصادية و سياحية مما وجدت لنفسها مناخا مناسبا للتطور من حيث الكم و النوع فظل الكتاب المخضرمون، الذين بدأو الكتابة قبل الاستقلال يمثلون صفوة كتاب هذا الأدب و ظلت الأعمال الأدبية من أجود ما أنتج. [2]

ب_ بلغة الكاتب(العربية): إن القول بان أي شخص يريد أن يؤكد على هويته و ثقافته يتخذ من الكتابة وسيلة و أداة للتعبير عن خلفياته النفسية، و لقد مرت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، بمرحلتين أساسيتين مرحلة ما قبل الاستعمار و مرحلة ما بعد الاستعمار، فهذه الأخيرة تعني بموضوع بحثنا.

بعد استرجاع الجزائر لحريتها و انقلاب الموازين لصالح الجزائريين تمكن الروائيين خلال هذه

---

1 _ أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي،المرجع السابق، ص: 125 .

2_ محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر، دار الحيل/ بيروت، ط1، 2005، ص: 242 .

الفترة من الانفتاح و الاطلاع و التحرر من القيود، و الكتابة الواقعية للتعبير عن جل التضاريس من مرحلة الاستعمار إلى المرحلة التالية له.

الروائيون خلال فترة الاستقلال خرجوا من دائرة العزلة و الاحتلال إلى دائرة الانفتاح على العالم و التحرر من قيود المستعمر، و الكتابة بكل حرية.

"يعتبر جل الدارسين و النقاد أن فترة السبعينيات هي المرحلة الفعلية التي شهدت النقلة الحقيقية للنهوض بالفن الروائي، حيث ظهرت أعمال روائية متتالية بداية برواية " ما تذروه الرياح " لمحمد عرعار 1972.

و"ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، التي انتهى من كتابتها عام 1970، ونشرت عام(1971)، و تليها رواية "اللاز" للطاهر وطار(1974)، بالإضافة إلى رواية أخرى متميزة و هي "الزلزال" لنفس الروائي سنة (1974)". [1]

نلاحظ أن أغلب الروايات التي ظهرت في هذه الفترة حاولت أن تعالج مرحلة الاستعمار، و الآثار التي تركها على نفوس الجزائريين.

هذا الارتداد إلى تلك الفترة يفسره سعيد علوش " أن ما يدفع الروائي في البحث داخل الماضي هو اكتساب الهوية التي يحيا بها المواطن هروبا من آثار المستعمر التي وسمها على جسده و نفسيته". [2]

1_ إدريس بودية: الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، المرجع السابق، ص: 39 .

2_ سعيد علوش: الرواية و الايدولوجيا في المغرب العربي 1960 _ 1975م ، ص: 28.

إن العودة إلى الثورة هي الخلفية الأساسية لحل الأعمال الأدبية التالية لتلك المرحلة، فأغلب روايات حاولت معالجة فترة الثورة التحريرية.

كرواية " اللاز" لوطار اهتمت بأحداث الثورة، و إن كانت الثورة، إطارا زمنيا و اجتماعيا يعالج الكاتب من خلاله موقفا إيديولوجيا، و رواية "ما تذروه الرياح" حاول صاحبها معالجة الآثار النفسية و الاجتماعية التي عانى منها الشعب عامة و الطبقات المحرومة خاصة.[1]

أما رواية الزلزال فسنتطرق إليها بالتفصيل في الفصل الثاني من بحثنا هذا، والتي اهتمت بالأوضاع الاجتماعية لمدينة قسنطينة، من خلال الآثار التي خلفتها الثورة في نفوس الأهالي والتحول الهام الذي حصل في الأوضاع المعينة أما رواية "ريح الجنوب" لابن هدوقة فتعد أول عمل فني باللغة العربية بعد الاستقلال، و ذلك الانجاز الفني الذي أضاف إلى قائمة الإنتاج الجزائري، و إلى الواقعية الانتقادية عملا جادا بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

"بالإضافة إلى الأعمال الروائية اللاحقة مثل رواية فارولو(1975) لعبد الملك مرتاض، و رواية طيور في الظهيرة (1962) لمرزاق بقطاش، ورواية الشمس تشرق على الجميع (1977) لإسماعيل غمومات". [2]

تبرز قيمة هذه الروايات كونها أسست للعمل الفني الروائي الجزائري الذي يجسد أحوال المجتمع و متسائلة مع الأرض.

" الرواية في فترة السبعينات، كانت وريثة الاتجاه الذي ساد في الرواية المكتوبة بالفرنسية من التزام سياسي فابتعدت كلما اقتربت من الإيديولوجيا.

1_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 90 .

2_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية، المرجع السابق، ص: 28 .

و الملاحظ لهذه الفترة من السبعينيات أن الباحث لا يقف على رواية عربية تمتاز برمزية "نجمة" (1852) لكاتب ياسين، و البناء الفني المبدع و بلغة الرواية المثقفة كرواية "الطلاق" (1969) لرشيد بوجدرة ".[1]

كان جيل السبعينات على الرغم ما قيل عنه من ضعف في الرؤية الجمالية في بعض التجارب، الجيل الذي أسس الأرضية الروائية كظاهرة و جنس بفضل إيمانه بثقافة الإرادة التي تجلت في الربط بين النضال الثقافي و النضال السياسي".

لكن ذلك الجيل قد انقضت أيامه و انسحب و ظهر جيل آخر مرتبطا به أشد الارتباط.

تمل هذا الجيل الجديد في نخبة من الروائيين كأحلام مستغانمي والأعرج واسيني، الأمين الزاوي... و غيرهم من الروائيين فالمناخ الذي اتبع جيل السبعينات يختلف جذريا عن المناخ الذي ظهر فيه الجيل السابق الذي لا يزال الكثير من رموزه يصنع الحدث الثقافي الوطني و القومي. [2]

هؤلاء الرواد الذين مثلوا نظرية ما بعد الاستعمار سواء أكان ذلك في الشرق أم في الغرب، و قد بذلوا جهدا كبيرا في تعرية الخطاب الإستشراقي المركزي و فضحه و تفكيكه و تفويضه. " نلاحظ أن نظرية ما بعد الاستعمار سخرت كل آلياتها الفكرية و المنهجية و المعرفية لتفويض الرؤية المركزية عن الغربيين و إعادة النظر في كثير من المسلمات و المقولات المركزية الغربية بالمراجعة و التحليل". [3]

1_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية، المرجع السابق، ص: 28 .

2_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،المرجع السابق، ص: 96 .

3_ المرجع نفسه، ص : 98 .

نجد نماذج من حالة العالم العربي ما بعد الاستعمار، فالذين يكتبون الانجليزية من مصر و العراق و السودان م بالفرنسية في المغرب العربي أو الذين يترجمون إليها، سرعان ما يصبحون ممثلين لأدب العالم العربي ما بعد الاستعمار خاصة إذا ما هاجروا حكوماتهم القومية المتخلفة، تلك التي ورثت التقاليد الاستعمارية و أعادت إنتاجها باسم الوطن و التحرر.[1]

وهكذا ينظر إلى ما كتبه محمد ديب، أو الطاهر بن جلول، أو آسيا جبار بالفرنسية بصفته نموذجا للكتابة العربية ما بعد الاستعمار.

والرواية هي النوع الأدبي المركزي في أدب ما بعد الاستعمار، التي لا يكاد يزاحمها نوع آخر في مكانتها، لأنها نوع ينهض بطبيعته على تمثيل الواقع، وهو الأقدر على تمثيل مجتمعات ما بعد الاستعمار، فضلا عن تسجيل ما يتعرض له مثقفوها من مآسي وصراعات عميقة الغور و هي تجربة ذاتية لا تخلوا من معايشة الواقع بأبعاده.

وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا في رواية الزلزال للطاهر و طار و نتعرض لجميع أبعادها و التغيرات التي حصلت في الجزائر بعد الاستقلال و معاناة البطل و هويته الممزقة المنقسمة و أحلامه و أوهامه في الاحتفاظ بالممتلكات.

1_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المرجع السابق، ص: 101 .

الفصل الثاني

الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار"الزلزال" أنموذجا

الفصل الثاني

الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار "الزلزال" أنموذجا

تمهيد: سنحاول في هذا القسم تقديم دراسة تطبيقية نأخذ "الزلزال" عينة لها من منطلق أن هذا العمل يشكل سلسلة يستمر فيها مسار الحكاية لأن الكاتب حافظ على الإطار العام لمكونات الخطاب الروائي، حيث حاول وطار متابعة تطورات شخصية الرواية على الساحة وانسلاخ بعضها، وتراجعها عن أفكارها التي كانت تطرحها إبان الثورة الوطنية, إذ حاول تبيان علاقتها وإظهار مواطن تفاضلها سواء على مستوى صفاتها أو أدوارها، أو لغتها وفي ذلك كله كشف عن تقنية كانت وكيفية تشكيل هذا العالم المتخيل وشخصياتها بطريقة ما.

عالجت رواية الزلزال قضية الصراع بين عقليتين, عقلية القرون الوسطى بما تحمل من موروثات متمثلة في بطل غير إيجابي هو الشيخ بو الأرواح وعقلية العصر الحديث متمثلة في الثورة الجزائرية، بما تحمل من مبادئ جديدة حول الاشتراكية و الديمقراطية و المساواة، وقد اعتمدنا على مبحثين في الدراسة التطبيقية لرواية الزلزال.

المبحث الأول: تجربة الطاهر وطار الروائية

المبحث الثاني: الموقف الإيديولوجي والأبعاد الاجتماعية والدينية لرواية "الزلزال"

المبحث الأول: تجربة الطاهر وطار الروائية

1-العودة إلى الماضي:

إن أغلبية أعمال وطار تنطلق من الواقع المعيشي,موضحة كل جوانبه السياسية والاقتصادية والحضارية والاجتماعية, لذلك صنفه النقاد والكتاب, كاتبا واقعيا.

"حاول وطار البحث عن شمعة يضيء بها دهاليز الحاضر بالعودة إلى الماضي, وهكذا ارتدت شخوص وطار إلى الماضي محملين بالرغبة إلى العودة لحرب التحرير يجترون نضالهم وبطولاتهم وأفعالهم وأحلامهم يقتبسون عزاء لهم".[1]

"الزلزال كتبها وطار بعد حرب الاستقلال ودخول مرحلة الإصلاحات على يد الاتجاه الاشتراكي مجسدا لواقع الثورة الزراعية وإجراءات تأميم الملكيات التي تهدف إلى إيجاد عدالة اجتماعية واقتصادية".

تعتبر رواية الزلزال عملا أهداه وطار إلى كل الفلاحين الجزائريين و المناضلين العمال، و إلى كل من بني ويبني الثورة الزراعية في الجزائر.

"الزلزال جسدت الوضعية التي آلت إليها أحوال الطبقتين الإقطاعية و البرجوازية في ظل الإصلاح الزراعي و الاقتصادي فجاءت شخصية أبو الأرواح لتعبر عن كل ما أصاب مصالح الطبقة من أضرار، نتيجة الإصلاح". [2]

عصر الاستعمار بالنسبة لأبو الأرواح عصر ذهبي، والحاضر الذي تجلى من خلال الإصلاحات التي قامت بها حكومة بومدين، فهو واقع يرفضه و يسعى للخلاص منه.

1_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ،المرجع السابق، ص: 43.

2_المرجع نفسه، ص: 49.

فالحاضر زمن شؤم كما يراه" أبو الأرواح" ينشد الخلاص منه بالعودة إلى الأوضاع السائدة في الماضي.[1]

الماضي هو حلم لبو الأرواح لأنه يسيطر على الأوضاع وتستولي على جميع ممتلكات غيره.

تجري أحداث الرواية في مدينة قسنطينة التي يأتيها أبو الأرواح، رمز الإقطاعيين من الجزائر العاصمة، باحثا عن أقربائه ليوزع عليهم ممتلكاته حتى لا تنالها إجراءات التأميم التي وافقت ثورة الإصلاح الزراعي.

وبعد زيارة أبو الأرواح لمدينة قسنطينة اكتشف الفجوة العميقة التي حدثت بين وعيه الإقطاعي و الوعي الجديد المتحقق بالإصلاحات.

إن حالة الاضطراب هذه التي تصيب الشخصية،نتيجة الصراع الذي حدث في وعي المجتمع الجزائري بين الإقطاعية والثورة، والصراع الذي تشكل في وعي الشخصية شبيه بحالة التعلق،وعدم المقدرة على الانكفاء أو السير إلى الأمام، في حالة من السكن وانعدام الفاعلية، وهذا ما يجعل البطل يقف على موتيفات تحيل سكون الوضعية منذ بداية القصة: **"هناك، آه تمثال القديس جان دارك بجناحيه متأهب لطيران لم يتم منذ عهد بعيد ثم إله قسنطينة والجسر المعلق".** [2]

نلاحظ أن وضعية التمثال و وضعية الجسر المعلق، تحيلان على حالة من الثبات من مدة طويلة أو خلال الانتقال من حالة لأخرى، ويستمر البطل باستشعار هذه الوضعية طول الوقت،فهو حين يصف مقهى البهجة يقول:

1_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، المرجع السابق، ص: 49 .

2_ الطاهر وطار: الزلزال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت) ، ط3 ، 1980 ، ص11 .

"لا حول ولا قوة إلا بالله، اللافتة لا تزال تعلن " البهجة" والطلاء متحلل...لم يبق من الحياة السابقة إلا الآثار...هدموا عالما وأقاموا آخر، داسو فوق عنق قسنطينة، وراحوا يضغطون أكثر فوق صخرتها" .[1]

إن ما يفصل بين أبو الأرواح الماضي، وبين الحاضر و المستقبل، بمثابة فجوة أو هوة عميقة يكاد يسقط إن اقترب منها، وكلما اقترب زاد خوفه من السقوط في المستقبل المظلم، و الخلاص الوحيد من هذا الاضطراب و الصراع هو الارتداد إلى الماضي في وعيه، فهو

الثبات و الأمان و كل ما كان يحياه من أمل في أحضان الاستعمار، يأمل بالعودة إلى الماضي فيقول:" **الماضي...الاستعمار...هما الحقيقة التي جلبت له ولأسرته المجد" دخل الفرنسيون المنطقة، قتلوا كل قادر على حمل السلاح، فحبلوا النساء، علقوا لأبي النياشين، وأعلنوه زعيما، وأعطوه أرضا كبيرة، كل الأرض" .[2]**

إن الفراغ النفسي الذي مر به أبو الأرواح خلال تلك الفترة، وكل محاولاته للخروج من التيه الذي وقع فيه، والآمال المرتبطة بالعودة إلى الماضي، وإيجاد لو بصيص أمل في الحاضر، أمر مستحيلا، صار هذا الزمن عنده بمثابة قاع المحيط المظلم الذي لا خلاص منه.

" أقذف نفسي وسط هذا الموج وأتدافع معه، حتى أجد مخرجا من هذا التيه، هل انحدر؟ هل أصعد هذا التيار يسير في جميع الاتجاهات يصعد وينزل، هنا قاع النهر محيط يتعرض لضغط الدفع من جميع الاتجاهات".[3]

1_الطاهر وطار: الزلزال، المصدر السابق، ص:39 .

2_ المصدر نفسه ، ص:172 .

3_ المصدر نفسه ، ص: 203 .

محاولة من أبو الأرواح للبحث عن طريقة تهدئ من روعه واضطراباته فيقع في مشكلة أكبر دوامة من الضياع والتشتت فيقول:" **يتلولب ويتلولب في مكان واحد، أنا في صحراء سيناء، أنا من التيه... يالهذه الأصوات المزعجة التي تملأ أذني.**[1]

"كان الموج يدفعه، وكان يتحدث بصوت عال وكان الأطفال يتبعونه ويضحكون من أعماقهم، يكررون ما يفوه به".

أبو الأرواح رغم رفضه للتغير الذي حصل في المستقبل الحاضر إلا أن غيره من القطاعيين كان عليهم أن يسايروا النظام الجديد شاءوا أم أبوا لأن أساس الثورة الزراعية قامت على أنقاض طبقتهم، لقد زلزلتهم الثورة الزراعية وقرار التأميم.[2]

" يا سكان مدينة قسنطينة، الزلزال، يا آل أبو الأرواح الزلزال، الزلزال".[3]

الحاضر أو الثورة أو قرار التأميم كلها عوامل أدت إلى زلزلة كيان أبو الأرواح وأمثاله، حكم على مستقبلهم أن يكون ضربا من الخواء أو العدم، فأيامهم قد مضت، وماضيهم لم يكن كفيلا بالوقوف أمام هذا الخواء أصبح أبو الأرواح لا يملك السيطرة أو القوة لامتلاك ما كان له، فكل ما عاشه أصبح من الماضي، أصبحت سوى لحظات إيهامية قد مر بها والحقيقة تجلت له في الحاضر، أي الثورة الزراعية في الحقيقة وهو لا يملك هذه الحقيقة، فأبو الأرواح أصبح ضربا من الماضي ليس له وجود في الحاضر.

1_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية، المرجع السابق، ص: 53 .

2_الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 208 .

3_المصدر نفسه ، ص: 209 .

2_ الثالوث المحرم:

الرواية جنس أدبي حامل لكل القيم و الأخلاق سواء كانت حميدة أو منحطة، فهي حالة من البحث للوصول إلى قيم صحيحة من خلال نماذج زائفة.

"العمل الروائي حالة من البحث عن حداثة الوعي الذي يعمل على تمزيق الكليات الزائفة الواقعية من خلال النص الذي يمنح المتلقي فرصة الوصول إلى كليات صحيحة". [1]

والروائي لا يملك الحرية التامة في طرح بدائل ذاتية أمام أنظمة مجتمعية لها مرجعيتها الخاصة، وتتضمن في سياقها ومن هنا تقف الكتابة الروائية على مرجعيتين:

أ_"مرجعية السلطة التي تمثل القيد والثبات، والأمر الواقع والإبداع إنها ببساطة تمثل القوة السالبة أو الكادحة في أحسن الأحوال".

ب_" ومرجعية الإبداع التي تمثل الحرية والتغيير والحلم والإبداع". [2]

هاتين المرجعيتين هما بمثابة خلفية يبنى عليها الروائي عمله الإبداعي لأنها تتضمن مرجعيات مهمة كالدين والسلطة والحلم والتغيير والإبداع...الخ.

يقف المبدع أمام السلطة بتجلياتها المختلفة مواجها ثلاث محظورات أساسية هي: السلطة ،الدين ،الجنس.

1_حميد لحمداني: الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي ، المرجع السابق، ص: 107 .

2_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية، المرجع السابق، ص: 107 .

1_ السلطة:

اعتمد الاستعمار الفرنسي على دعامة رئيسية في نظرته الدونية والاستعلائية من خلال تفوقه الحضاري والعسكري والإعلاء من جنسه والحط من الجنس العربي، وممارسة كل أشكال الهيمنة في خطاباته المعرفية الموجهة للآخر (الجزائري) وتهميشه من خلال ثنائية السيد/المسود.

استطاع وطار رصد ملامح هذه المرحلة كما اختزنتها ذاكرته الشخصية، وكما رصدها بعض الجزائريين، الأمر الذي يظهر في النماذج الروائية المجسدة للشخوص ومواقفها.[1]

فرنسا حاولت طمس حضارة الجزائريين من خلال إقصاء هويتها وثقافتها الأصلية واستبدالها بثقافة ولغة وحضارة فرنسا، عن طريق أساليب الوعي التي فرضتها سياستها الإقطاعية وساعدها في ذلك الإقطاعيون والبرجوازيون الخاضعون لحمايتها والتابعون لها من خلال تلبية جميع متطلباتهم، واقترن الحديث عن الإقطاع والتجار بالاستعمار الفرنسي في رواية وطار " [2] **"ما بالك لا تذكر إلا الباشاوات والأغوات وعملاء فرنسا"** .[3]

استطاعت فرنسا سلب ونهب خيرات الجزائر عن طريق الإقطاعيين والبرجوازيين الذين وقفوا بجانبها ضد أبناء وطنهم ، ولكن وجدت فيهم عنصرا غير مؤهل للقيام بأعمال منظمة فوجب عليها تكوينهم ثقافيا وعلميا لتسهيل مهامها، ويظهر جليا هذا الأمر على لسان أبو الأرواح:" **العلم مع المال والجاه تاج على الرأس يا بني، ارتفع مجد أرتنا حتى بلغ الثريا لكن لم يكن فينا ملك بالمعنى الحقيقي فاذهب إلى تونس، وعد بالتاج، عد ملكا وسأضمن لك**

1_ سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص:31

2_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، المرجع السابق، ص: 24 .

3_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 24 .

منصب قاض في قسنطينة، إن عدت بعلم يجهله بنو قومك (يقصد اللغة والدين) ويخضعون له ويحتاج إليه الفرنسيون للتحكم أكثر، يكن لك شأن ولي شأن، أخوك الكبير، يذهب إلى الجيش وأنت تذهب إلى جامع الزيتونة" . [1]

فرنسا أرادت كسب فئة رجال الدين لجانبها لاكتسابها مكانة أكثر ثقة لمعرفتها بقيم الدين بالنسبة للجزائريين وتأثيره الشديد عليهم، اختارهم على أساس شيعتهم بين المواطنين، لأن هذه الفئة تملك صوتا بإمكانه التأثير في كافة الناس.[2]

حاول وطار أن يبرز بشكل متكرر العلاقة التلازمية بين الاستعمار ورجال الدين وبالغ وطار في إظهار موقفه الإيديولوجي من رجال الدين، حين يدير في ذهن إحدى شخصياته الدينية والإقطاعية كشخصية أبو الأرواح بانتمائها إلى فرنسا وخيانتها للجزائر.

2_ الدين:

إن التطرق إلى موضوع الدين، موضوع هام جدا وحساس من خلال تجلياته الفكرية والسياسية، وهو بعد من أبعاد الأطروحات الروائية عند وطار وموضوع الدين من طبيعة الدور الذي لعبته الحركات الدينية في تاريخ الجزائر سواء كان في مرحلة التحرر أم بعد ذلك في صيرورة المجتمع الجزائري خاصة في ظل فترة ما بعد التحرر.

والملاحظ أن وعي وطار بالدين محكوما و مؤطرا بمرجعياته الشيوعية الماركسية ومن هنا نرى أن صورة الدين عند وطار مسطحة في بعد أحادي تنميطي يجعل كل النماذج المجسدة

1_ ينظر لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، المرجع السابق، ص:181_182 .

2_المرجع نفسه، ص:186

للاتجاهات الدينية تتجمل بخصائص سلبية، لقد مارس وطار عملية إقصائية لكل ما يمكن أن يوحي بالصورة الحقيقية للدور الايجابي الذي لعبه عدد من أصحاب الدين.[1]

إن الدعاية الدينية للإقطاع الزراعي، هو تشريع رباني وبذلك تتحقق رغبة الإقطاعيين في إخضاع فئات المجتمع وإقناعهم بأن الدين نص مقدس لا يمكننا الخروج عن طوعه أو مخالفته مخافة غضب الرب واستخدم في ذلك رجال الدين لخدمة مصالح المستعمر و الإقطاعيين وهذا ما جعل الطاهر وطار يجسد الأمر في بطله الإقطاعي الشيوعي، [2] يتوسل بالدين ليبرر موقف طبقته من قرار التأميم الحكومي، وحقها في احتكار المال والسيطرة على أرزاقه العامة، حاول تبرير قرارات التأميم باللجوء إلى النص القرآني ليثبت صحة ادعاءاته وأن صواب فيقول:" **لا، الشيء لمن يملكه، والتمليك وارد في القرآن الكريم**".[3]

ولم يكتفي أبو الأرواح باتكائه على النص الديني، بل لجأ إلى قول و أحديث للرسول صلى الله عليه وسلم لتقوية تأويله، فيجعل ارتقاء الحال بأبناء العامة علامة من علامات الساعة كما جاء في الحديث النبوي الشريف.[4]

"**صدقت يا رسول الله... من علامات قيام الساعة إن يتطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان،وأن الأمة ربتها،وأن ينقلب الأسفل على الأعلى،وأن لا يبقى هناك أسفل و أعلى**"[5]

1_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، المرجع السابق، ص: 137.

2_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 551 .

3_ الطاهر وطار: الزلزال ،المصدر السابق، ص: 137.

4_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، المرجع السابق، ص: 141 .

5_ المصدر نفسه، ص: 13 .

فالشيخ أبو الأرواح شيخ ذو ثقافة دينية وتصور ديني، فلا نستبعد إن الرواية تتميز باللغة الدينية من صور وتشابهات، فنحس بالمحمول القرآني يسيطر على معظم الرواية، فالآية القرآنية التي تذكر الزلزال(سورة الزلزلة).[1]

تردد مرات عديدة في الرواية من بدايتها إلى نهايتها فأحيانا نجدها مقتبسة مباشرة:" **تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد**". [2]

وأحيانا أخرى نجدها بشكل غير مباشر:" **تذهل كل مرضعة عما أرضعت، تضع ذات الحمل حملها ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ينسى الناس الزيت والسكر والقهوة والصابون و السميد والبيع والشراء والسرقة أيضا**" . [3]

نلاحظ أن هذه الآية ظلت مسيطرة على وعي أبو الأرواح من بداية الرواية إلى نهايتها، فيشعر أبو الأرواح بالزلزال كالنار المتقدة،((**المادة السائلة تسيل، الدكن يطغى**)). [4] ومن آثار الزلزال إشارة إلى انصهار الأشياء. بالإضافة غلى تلك الآية الكريمة التي تتكرر عشرات المرات، تكثر الأصداء الدينية كالحولقة أو التعوذ أو البسملة ونجدها في الرواية في الصفحات التالية(15،23،45،61).

من خلال ما سبق نجد أن الطاهر وطار قد تغيرت نظرته إلى الدين و دوره تغيرا ملحوظا، رغم محافظته على مرجعياته الاشتراكية التي تحاكم بها نظرته إلى الدين سلبا و إيجابا.

1_ محمود غنايم: تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دراسة أسلوبية، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1993 ، ص: 319 .

2_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 22 .

3_ المصدر نفسه، ص: 113 .

4_ المصدر نفسه، ص: 223 .

3_ الجنس والجسد:

لقد عانى الشعب الجزائري ويلات الاستعمار الغاشم، وعاش حياة قاسية انعكست على نفسيته، حيث انصرف الرجل بل أفراد الوطن، إلى التفكير في الطريقة التي تمكنهم من انتزاع الحرية من جديد.

سادت في هذه الفترة ظاهرة الزواج المبكر، الذي بموجبه تصبح الطفلة سيدة منزل عند بلوغها الثالثة عشرة سنة أو أقل، ففي" المجتمع الجزائري الريفي لا توجد مراهقات عاز بات... ويبدو أن الزواج المبكر في ذلك المجتمع البدوي يشكل وسيلة لتجنب الحب و العلاقة الجنسية بين الشباب من الجنسين".[1]

ثم جاءت فترة ما بعد الاستقلال، فترة البناء والتعمير و الثورة الزراعية و التأميم، وهي مرحلة حملت عدة تصدعات على كافة المستويات، لكن المجتمع ظل متمسكا بقيمه و عاداته وتقاليده.

لكن تظل المرأة مصدر غواية للرجل مهما صغر سنها تظل في نظر أبو الأرواح مصدر للعلاقات الجنسية قائلا:

((فتاة في العاشرة تقف في الباب، مستاكة ،مكتحلة، بيضاء تحدق إلي في وقاحة، المرحومة (عائشة)، زوجتي كانت في سنها، كانت تشبهها، غير أنها لا تعرف التبرج مثلها، عليه السلام تزوج عائشة في التاسعة...أراد عليه السلام أن يقول لأمته أن غواية الأنثى كأنثى تبدأ من يوم ولادتها)).[2]

1_ ليلى حمراني: الأسلوب الاستعماري في الرواية الجزائرية المعاصرة ، موضوع الجسد لأمين الزاوي أنموذجا، مذكرة ماجيستير ، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، 2006/ 2007 ، ص: 84 .

2_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 124 .

علما أن المجتمع الجزائري مجتمع محافظ مثله مثل بقية الأقطار الإسلامية وخوفا من اقتراف الخطأ وجلب العار لذا كان يرى في الجنس نوعين، الأول مشروع مقدس متمثل في الزواج، والآخر محظور مرذول متمثل في البغاء و الزنا. و البغاء مؤسسة اجتماعية عزز وجودها الرجل الرأسمالي الذي أراد أن يتحلل من علاقات الزواج الأحادية في الأديان السماوية مفرغا بعض حاجاته عبر علاقات بنساء غير الزوجة.

مهنة البغاء موجودة منذ الأزل فهي ليست بالظاهرة الجديدة في المجتمعات فنهى الله عنها في الكتاب المقدس و أنزل في حقها نصا قرآنيا **لقوله تعالى: ((ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا، لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، ومن يكرههن، فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم))**. [1]

مظهر آخر من مظاهر السلوك المجتمعي الجنسي يتمثل في الزنا بالمحارم، هذه حالة من الخروج عن المد العرفي المقنن الذي يمارس على حرية الأفراد الجنسية التي سادت في المجتمعات البدائية، حيث كان متاحا لكافة الأفراد ذكور إتيان كافة الأفراد إناث،[2] وللحفاظ على أواصر المجتمع و خوفا من النزاع على النساء في العصبة الواحدة تم تحديد المحارم، هذا التحديد الذي يسوده بنظامه الخاص في الأديان السماوية حيث حدد الله سبحانه وتعالى المحارم **بقوله: ((حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم التي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم و ربائبكم ... إن الله كان غفورا رحيما))** .[3]

1_ قرآن كريم: سورة النور، الآية: 33 .

2_ عبد الحافظ مجدي: الجسد الإنساني، مجلة الإبداع، عدد 9/سبيتمبر/1997 ، ص:104.

3_ قرآن كريم: سورة النساء الآية 22_23 .

اكتسبت هذه العملية بعدها التحريمي في العرف و القانون والدين إلا أن بعض أنماط السلوك الاجتماعي لم تكن لتخضع الرغبة الجنسية للرجل، فيخرج من هذا الإطار المحرم ويعمل على السماح بالمحرمات.[1]

على الرغم من هذه النصوص و الأحاديث التي تحرم هذا الفعل، غير أن الرجل غير مقاوم رغبته في الاستئثار بالأنثى الأقرب إليه، و الأكثر إثارة و سهولة للإخضاع والسيطرة وصورة السفاح بالمحرمات تعمل على توضيح بعض السلوكيات الاجتماعية ترد في رواية الزلزال: **((أمام المحقق قالت انه أبوها، طلب منها أن تمسد ظهره ثم أرقدها واحتضنها وأمام المحكمة قالت انه أخوها، وأنها هي التي أغوته، ثم عادت فأنكرت أن يكون أباها أو أخاها، قالت ربما احدهما)).**[2]

إن صورة السفاح بالمحرمات تعكس قراءة لواقع يشتمل على القهر انعدام التوازن مما يجعل التعبير عن رفضه يتجلى بخروج قاس تتمثل قسوته على التجارب مع الواقع بكل تناقضاته، فما وصفه وطار من زنى المحارم هو محاولة لضرب قارئه في الصميم، انه يريد أن يقدم لنا مشهد الحياة القاسي و الموحش.[3]

والجنس هنا هو ضرب من إثبات الذات المالكة، الذات التي تستطيع أن تبعد رجلا عن أهله.

1_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية ، المرجع السابق، ص: 162.

2_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 160 .

3_المصدر نفسه: ص 160.

3_ الأنا و الآخر:

إن الحديث عن الثورة يستدعي منا بصورة حتمية و منطقية الحديث عن الآخر المستعمر، و هذا الأخير غالبا ما يرتبط بموضوع الثورة الذي يعد مرجعا تاريخيا يعود إليه الكاتب لتبرير التنافر الدائم بين الأنا و الآخر في أعمالهم الروائية.[1]

وتحددت علاقة العرب مع المغرب تاريخيا بالعداء الديني الذي رافق الحروب الصليبية إبان العصور الوسطى، التي يرى فيها عبد الله إبراهيم: (أنها قد عدت الخيال الغربي بفاعلية تعصب ثقافي ديني ضد الشرق الإسلامي ووجدت تجليات ذلك الخيال في مرويات شعبية غربية، جعلت من العربي الإسلامي، كائنا قاسيا منحرفا و كافرا).[2]

الدين الإسلامي بالنسبة للعرب هو دين التوحيد و الغرب تتعدد لديهم الديانات، حيث يعرض عبد الله إبراهيم نظرة الغربي إلى العربي، و أساس الصراع القائم بينهم هو الدين، و الفرنسيون ليسوا سوى نصارى يريدون تنصير الجزائريين ويلتقط وطار هذه الصورة و يدرجها بواسطة أصوات شخصياته الروائية: **(كنيسة النصارى التي كانت تسعى جاهدة لتنصير الجزائريين).**[3]

إنهم نصارى رومانيون دخلاء وقتلة، كل ذلك موروث حضاري تناقلته الذاكرة الحضارية تجاه الغربيين، فأخذ الجزائريون يتطيرون من كل ما هو أشقر، له جذور ضارية في أعماق التاريخ فهي قطيعة دينية و عرقية بين الحضارتين.

1_ إبراهيم عبد الله : الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، المرجع السابق، ص: 178 .

2_ المرجع نفسه، ص: 177 .

3_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص:19.

إن صورة شعب من الشعوب في ذهن غيره ما تكون خيالية و وهمية في وعي الذات الحضارية الأخرى التي تحاكمها أي أن كل ذات حضارية تخضع لقراءة ناقصة من قبل الذوات الأخرى.

لقد مكننا الوعي من تمثيل الصراع بين الذات والآخر، ومن استيعاب مجال الآخر بطريقة مغايرة يمتزج فيها الواقعي و التخيلي، ينصهران معا للتعبير عن إشكالية معقدة وصعبة.[1]

ومن هنا كانت نظرة العرب لذاتهم في مرحلة من مراحل حماة الدين، والغرب ليس إلا ذلك الآخر الذي يهدد وجودهم ودينهم: **(وفي الحق، الغرب ظل ولا يزال مبعث الخطر المهدد للعرب والمسلمين ولمدنهم ولحياتهم، ودينهم).**[2]

كانت نظرة الجزائريين للغرب نظرة انبهار لحضارته ورقيه، ولكن الأمر لم يكن كذلك على النحو الذي يعرضه وطار من خلال تفطن شخصياته التي يحملها إدراكه لهذه الأزمة الحضارية، نقف هنا على رأي أبو الأرواح:**(الغرب عندما سحقنا عسكريا، كان يبهرنا علميا وتكنولوجيا).**[3]

نجد آن الخروج من دوامة تعريف الذات والآخر، فهو حاول أن يجد بديلا حضاريا وفق ما سماه بعقلنة البعد الديني رغم غموض وصعوبة فهم هذا البديل يبقى غير واضح المعالم.

1_ موسى بن جدو: الشخصية الدينية في روايات الطاهر وطار، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع ، 2008م ،ص107 .

2_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 46 .

3_ المصدر نفسه، ص: 168 .

المبحث الثاني: الموقف الإيديولوجي و الأبعاد الاجتماعية و الدينية في رواية الزلزال

1_ البعد الاجتماعي و الديني لرواية الزلزال

أ_ البعد الاجتماعي:

في بداية السبعينات ظهرت أقلام تعبر عن كل ما يحدث من جديد في مجتمعنا فالعديد من القصص و المقالات التي تتكلم عن هذا الوضع وما يمتاز به من تناقضات التي بدت واضحة للعيان.

ومن بين الذين برزا في هذا المجال الروائي " الطاهر وطار" من خلال رواية " الزلزال" التي تتكلم عن شخصية بطلها إقطاعي يدافع عن موقفه أمام الزحف السريع للمفاهيم الجديدة من خلال أهم الحوادث الاجتماعية الموجودة في الرواية إلى سبعة فصول.

1_ باب القنطرة : حيث يستهل الكاتب روايته بوصول "عبد المجيد أبو الأرواح " قادما من الجزائر العاصمة إلى مدينة قسنطينة، حيث يصف لنا الأحداث على شكل "مونولوجات" ووصف خارجي لشوارع قسنطينة.

من السطور الأولى للرواية ندرك أن البطل قادم من العاصمة ثم يكشف لنا عن شخصية برجوازية دينية تنظر باحتقار إلى الشعب الذي ازداد عدده في المدينة مما دعا إلى أزمة السكن واختناق في حركة المرور وانعدام النظافة.

" لا حول و لا قوة إلا بالله، ما الذي يدفع الناس حتى يرتجلوا مشيتهم بهذا الشكل في هذه المدينة ألم أصل بالسيارة إلى هنا بعد أن كدت أهجرها وسط الشارع خشية أن يعمرها كالذباب، كأنهم في يوم الحشر".[1]

1_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 11 .

2_ سيدي مسيد: نستمر اكتشاف شوارع قسنطينة مع الكاتب وتدافع الطبقة الكادحة من العاطلين أي اكتشاف فئة من المهمشين في المجتمع الجزائري من ماسحي الأحذية و المتسولين و أصحاب الحرف البسيطة هذه الفئة التي قبعت طويلا على الهامش.

فالروائي يجسد لنا الواقع اليومي لهؤلاء الناس وسرد تجاربهم وآلامهم وأفراحهم، كما يجسد لنا الجانب الإيجابي للشخصية البرجوازية الإقطاعية .

3_ سيدي راشد:"عبد المجيد أبو الأرواح" يواصل بحثه عن وارثيه وهو يتجول في شوارع قسنطينة بنقم على الشيوعيين الملحدين الذين يأخذون بأوامر من الروس ليطبقوها على بلاد الإسلام، يستنجد بالأولياء الصالحين ككل الإقطاعيين فهو يكشف لنا عن النوايا الإقطاعية الاستغلالية وخوفهم وقلقهم من الأفكار التي يطلقون عليها الشيوعية الملحدة التي تضع حدا لمشروعهم ونواياهم.

لكن يحدث ما لم يكن في حسبان "أبو الأرواح" فبعد الغياب الطويل وجد أن كل شيء تغير، فالأشخاص الذين كان يبحث عنهم تغيروا مع التغيرات التي طرأت بعد الاستقلال.

حيث يقول" سبب تجمع الناس في قسنطينة بهذه الصفة=المخجلة هو البطالة هكذا الشأن في كل المدن والعواصم الفلاحية، يد تنتج وألف من يستهلك واحد يقبض وألف من تتفرج، ستون يوما عملا في السنة وثلاثمائة يوما بطالة، على هذا ترتكز فكرة أصحاب المشروع الجهنمي انتزاع الأراضي من عباد الله الصالحين،وتوزيعها على جميع الناس، ليشتغل كل واحد بمتر أو مترين وبدجاجة أو دجاجتين وإخلاء المدن أو على الأقل عدم تأثيرها أكثر.[1]

1_ ينظر الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 100_101.

4_ **مجازر الغنم:** يتابع "أبو الأرواح" تجواله في المدينة عله يجد ما يذكره بالماضي الذي تمنى عودته ولكنه لا يعود يبحث عنه في كل الشوارع والأزقة التي امتلأت عن آخرها بالكادحين والفقراء الذين يتطلعون إلى المستقبل بقلوب يملأها الأمل.

5_ **جسر المصعد:** يتطرق الراوي إلى ماضي عائلة " أبو الأرواح" الذي يوحي بها إلى ماضي الإقطاعية والطريقة التي اكتسبت بها العائلة الثروة فكلها كانت عبر طرق شرعية

ومن خلال أعمال دنيئة، كما يكشف لنا عن عقم" أبو الأرواح" الذي بدأ والده حيث كان ينجب البنات ويمتن أثر الولادة، فلم يعش إلا "عبد المجيد أبو الأرواح" الذي هو بدوره لم ينجب رغم كل محاولاته فهذا المقطع بالذات يريد به الكاتب أن يسن لنا موت الإقطاعية وفنائها فهي قامت على أسس غير إنسانية من الاستقلال والمكر وستكون نهايتها بنفس الأسباب فهو يطرح الإقطاعية كمشكلة عالمية لما تكلم عن فنائها أمام الثورية الزاحفة.

6_ جسر الشياطين: صور الماضي ما تزال حاضرة في ذاكرة "أبو الأرواح" وهذه المرة لا نجد من حديث سوى اليهود وتاريخهم، وسياستهم في إدارة الأحداث وكذا تعايشهم مع الجزائريين.

" لو بقي اليهود في قسنطينة ما كان بالباي يتردى إلى ما تردى إليه... يهود الجزائر لم يكونوا أذكياء، أعني يهود العالم كانوا غير يهود".[1]

أيستطيع الصمود أمام التحولات التي مست المجتمع الجزائري، فشعر بالدوار واختلطت في ذهنه الأفكار، وشعر بالذعر والخوف، وهو ينادي الزلزال، الزلزال." أنا في جسر الشياطين فعلا، شعر بالذعر لفته المادة السائلة واللون الداكن، راح يركض إلى فوق وهو ينادي بأعلى صوته: يا سكان مدينة قسنطينة، الزلزال، الزلزال يا آل أبو الأرواح الزلزال، الزلزال".

1_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 209 .

7_ جسر الهواء: يختم الراوي الرواية بجنون" أبو الأرواح" الذي بحث طويلا عن وارثيه، ليوزع عليهم الأرض لكنه لم يجد أحدا.

تنتهي الرواية بصورة فنية صورة " أبو الأرواح" وهو واقف في جسر الهواء و الأطفال الصغار يحيطون به إنهم أولاد الفقراء الكادحين أبناء عمال"ماشا" وعمال السكة الحديدية، أولاد الشهداء وأولاد "مزبلة بولفرايس" سوقية العصر.

فمن خلال تتبعنا لأحداث الرواية وتجوالنا في شوارع مدينة قسنطينة عبر الفصول التي قسم بها الرواية استطعنا أن نتعرف على الواقع الاجتماعي لجزائر ما بعد الاستعمار من مخلفات وآثار سنحاول رصدها.

1 _ **النزوح الريفي نحو المدن:** فالراوي من خلال شخصية "أبو الأرواح" من بداية الرواية وهو يكرر تذمره وسخطه من أهل القرى و البادية لاقتحامهم المدينة ما خلف اكتضاضا وفوضى عارمة همجية ولا نظام "**تركوا قراهم وبواديهم واقتحموا المدينة** ".[1]

2_ انتشار ظاهرة التسول:أصبحت حرفة يمتهنها رجال ونساء وأطفال وشيوخ نتيجة الحر ومخلفاتها فهناك من تيتموا وترملوا ولم يجدوا من طريقة لكسب قوتهم سوى التسول.

"....**عبد المجيد أبو الأرواح من خلال وجوه المتسولين والمتسولات، الذين يقفون في صف طويل.....قرر دفع بعنف يد متسولة تعترض طريقه.....**" . [2]

1_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص:15 .

2_ المصدر نفسه، ص: 16 .

3_ أزمة السكن:

" الشقة التي كانت تأوي عدة عائلات ". [1]

"السكن الذي كان يضم أسرة أضحى لعشر" . [2]

4 _النمو السكاني وازدياد عدد المواليد:

فالكاتب يجري مقارنة بين الأسرة الفرنسية والجزائرية فالأسرة الفرنسية تعتمد على تحديد النسل بينما الأسر الجزائرية عكس ذلك " **أسر الفرنسيين كانت لا تعدى الثلاثة أو الأربعة أفراد على أقصى حد ما أسر بني عمك فلا أقل من تسعة عشرة". [3]**

أبو الأرواح يبدي سخطه من تزايد عدد المواليد في مدينة قسنطينة ولا يروق له ذلك فهو لا يلبث يتأفف ويلعن هذا الوضع .

5– انتشار ظاهرة الانحلال الخلقي و استغلال المرأة :

أصبحت المرأة تستعمل وسيلة لكسب القوت و تعرضها للاضطهاد و التهميش " **غره الصوت، بينما تقدم منه كهل على كتفه سترة منامة ،...أنا أسكن قريبا منها ، أنا و زوجتي وبناتي و أخت زوجتي، أنا عاطل عن الشغل ،وفي حاجة إلى نصف لتر من الزيت ...ستفر بناتي و زوجتي و أختها ،بناتي واحدة في العشرين ،و أخرى في التاسع عشرة،**

1_ الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص:27.

2_ المصدر نفسه، ص 34 .

3_ ينظر المصدر نفسه، ص 27_28 .

و أخرى في السابعة عشرة ، أما أخت زوجتي ففي الثانية و العشرين ،... (الشر يعلم السقاطة و العري يعلم الخياطة) . [1]

فرواية الزلزال تتجاوز المستوى الأحادي للقراءة ، فهي تطرح عدة مسائل قضيا ذات صلة بالمجتمع الجزائري في مرحلة تاريخية حساسة عدها الكثير من النقاد و الدارسين عملا فنيا يظهر فيه الروائي دفاعه عن الاتجاه الاشتراكي من خلال مناصرة لمشروع الثورة الزراعية في مرحلة ما بعد الاستقلال .

ب – البعد الديني لرواية " الزلزال " :

قضية الدين في رواية " الزلزال " مستغلة من طرف الإقطاعي بشكل جيد لضرب و تمييع أي جماهيري يستهدف التغير الاجتماعي للأوضاع ، وقد انتقل هذا السلاح عبر الحقب التاريخية المتعاقبة كإيديولوجية ذات حدين استعملها الإقطاع في معظم الأوقات لتمويه قضية الاستغلال و إعطائها طابعا من الشرعية الدينية. [2]

وهذا ما يفعله " أبو الأرواح " فقد ورث كل الأساليب الغيبية القمعية و يحاول أن يطبقها على الثورة الزراعية لنفسها من الداخل ، أي أنه يحاول تفسير الآيات القرآنية حسب الرغبة الذاتية حتى عقمه يحاول أن يجد له مبررات دينية .

((يتماشى ذلك بشكل متوازيا أحيانا ، و في أحيان أخرى متقاطع ، مع الفتوى التي سلف ذكرها و التي ظهرت مع بداية تأصيل العمق الثوري للمكاسب الشعبية)) .

1_الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 54 .

2_ واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 543 .

إذ قيل أن **((الصلاة محرمة على الأراضي المؤممة)).** [1]

يظهر لنا أن حتى القرآن الكريم و قداسته لم ينجو من هذه العملية التي تشكل مركزا من أخلاقيات الإقطاعية فأبو الأرواح لا يأخذ من القرآن إلا ما يمكن أن يخدمه تاريخيا و يخدم مصالحه الطبقية بالمحافظة على مركزه و سيطرته ، فالدين ليس له معنى ذاتي داخلي ، و لكنه يفسر طبقيا مثلما تفسر كل الثقافات الأخرى الروحية ، فالدين حتما إن فقد قيمته الطبقية بالنسبة ل " أبو الأرواح " سيصبح هذا الأخير يمارس أعماله الفظيعة على الملأ و بدون إحراج من الناس و من الله .

((عليهم اللعنة في الليل إذا تجلى ، إن كانوا يعرفون معنى العدالة ، هم الذين يخططون للاستيلاء على أراضي الناس)). [2]

بالإضافة إلى استخدامه للمصادر الأصلية للدين في تأييد أفكاره الشرعية عليها و لو بطرق ملتوية ، فإنه كثيرا ما يلجأ إلى الأولياء الصالحين سيدي راشد و غيره ، داعيا إياهم أن يحققوا ما في نفسه بصفتهم أولياء المدينة الصالحين ، الذين يجب أن يحافظوا على سمعتها و مكانتها و نقاوتها فهو كثيرا ما يدعو سيدي راشد لكي ينتقم من هؤلاء البدو الذين ملأ المدينة .

كما يخاطب سيدي مسيد **(ابدأ من هناك للأسفل حيث لا يزال الزحف يتواصل ثم ازحف إلى قلبها وطهره يا سيدي مسيد ولا تدعهم يخربون المدن لينطلقوا نحو البوادي سلط الخصي على رجالهم ، و العقم على نسائهم حتى ينقرض نسلهم و لا يمكث إلا النسل الصالح).** [3]

1_ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 543 .

2_الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 51.

3_ المصدر نفسه، ص: 47 .

"أبو الأرواح" بعد هذا لا يميز أو يريد التميز بين الدين الصحيح و الدين المزيف ، بين الحقيقة الدينية و الخرافة ما دامت الخرافة تخدم مصالحه**(لفت انتباهه صورة رأس الغول على حصانه، وسيف السيد علي يشقها و يقطعها إلى جزأين فقرن حاجبيه في استنكار ثم انفجرت أساريره ، لا تفاصيل في الدين).**[1]

كما يؤكد "أبو الأرواح " مرة أخرى أنه كان في حقيقة الأمر مع ابن بأديس على طرفي نقيض **((كنت و لا تزال ترى ، إن كل ما يربط العامة بالله جائز شرعا حتى و لو كان عبادة الأوثان ، لم تجاهر برأيك ، ولكنك كنت شديد الإيمان به)).** [2]

فمن خلال احتكاك " أبو الأرواح " بالمعمرين يبدو أنه أخذ شيئا ما من ثقافتهم الدينية أو هو ناتج نشر الاستعمار الفرنسي لسياسة التنصير و انتشار الكنائس و الترويج للدين المسيحي و نشر الخرافات .

يحاول " أبو الأرواح " دائما العودة إلى الكتاب و السنة و آراء السلف الصالح لكنه عند بحثه عن الاشتراكية لم يجد لها أثرا في الكتاب و لا في السنة أو السلف الصالح .

1_الطاهر وطار: الزلزال ، المصدر السابق، ص: 131 .

2_المصدر نفسه : ص 130.

2 – الموقف الإيديولوجي لرواية " الزلزال "

العمل الروائي هو تعبير عن الواقع المادي للحياة لكن عالم ذو خصوصية يتمثل بمهارة فنية فائقة تلك الجدلية الأبدية بين الواقع و الفن كما يخلق إبداع و يجسد ما هو جوهري في الوجود الإنساني و الطبيعي.

يرى " غولدمان"**((إن أكبر الكتاب الممثلين لعصورهم ، هم أولئك الذين يعبرون بصورة منسجمة على نحو ما ، عن رؤية للعالم تصادفنا في كل الأطوار لدى الفلاسفة و الكتاب و الفنانين)).** [1]

فالعمل الإبداعي بهذا المنظور هو امتداد للمجتمع الذي تكتب فيه ، تعكس آمال الشعوب و آلام الشعوب في المجتمع .

يتأسس العمل الإبداعي ويشمل في مكوناته التركيبية البعد الإيديولوجي **((تتحدد علاقة الكاتب الروائية بالإيديولوجية من زاويتين ، زاوية إيديولوجية في الرواية و زاوية الرواية كإيديولوجية)) .**

((أما بالنسبة للزاوية الأولى فإن الإيديولوجية في الرواية تعد مكونا من مكونات البنية النصية الروائية ، عن النص الروائي يحتوي على مكونات متناقضة ، فهو عبارة عن تجمع لإمكانات متعددة بسبب تعارض عناصره فالنص الروائي بحكم نسيجه البنيوي المشحون بالمتناقضات ، فيه الإيديولوجية و نقيضها و فيه موقف الكاتب الذي يوافق إحداهما أو يعارضهما ، أو يكون محايدا)). [2]

1_ علي ملاحي: هكذا تكلم الطاهر وطار، المقام الأول، مداخلة للأستاذ حسين بوحسون جامعة بشار، بعنوان الموقف الإيديولوجي في رواية الزلزال، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011 ، ص:440 .

2_ المرجع نفسه، ص: 441 .

أما بالنسبة للزاوية الثانية بالنظر إلى الرواية كإيديولوجية، تعني أولا موقف الكاتب تحديدا لا موقف الأبطال كل واحدة منهم على حدة .

((الإيديولوجية تدخل إلى عالم الرواية التخيلي كمكون لأداة في يد الكاتب ليعبر في النهاية بواسطته عن إيديولوجيته الخاصة)) .

يعتبر الطاهر وطار من بين كتاب الرواية العربية في الجزائر الذين لديهم رؤية أو موقف إيديولوجي.

((إذ أن القارئ لكتاباته لا يعدم أن يقف على منحنى عام يميزه عن غيره من الكتاب أو يسلكه في سياق من الكتابة الروائية الخاصة ، ذلكم هو الموقف الإيديولوجي الذي يبرز بشكل حاد، و ربما بشكل عنيف في جل ما كتب هذا الروائي)).

ما يشد وطار و يجذبه أكثر هو الجدلية بين الفن و الواقع و كيف يكون كال منهما في خدمة الآخر .

((وطار يعد من الكاتب الذين ينسجمون مع الموقف الفكري العام الذي يدعم رؤيته الشاملة لقضايا الكون و الإنسان و الحياة)).

رواية "الزلزال " تجسد لنا الواقع و الموقف الإيديولوجي من خلال بنية شخصية "أبو الأرواح " فالرواية تعبر عن واقع الجزائر عبر مرحلتين تاريخية و اجتماعية من خلال شخصية أبو الأرواح التي (جمعت الإيديولوجية و الإيديولوجية النقيض).

((إن رواية الزلزال هي رواية موقف إيديولوجي بامتياز تعكس الرؤية الإيديولوجية و الموقف الفكري الذي يشكل بؤرة الفعل وردود الفعل في السلوك الاجتماعي للبطل)). [1]

1_ علي ملاحي: هكذا تكلم الطاهر وطار ، المرجع السابق، ص: 441 .

إن الإيديولوجيا التي تبناها والتي هي في الأساس إيديولوجية الكاتب تطرح " الاشتراكية وسيلة لبناء المجتمع الجزائري و تنميته و تقدمه و ترفض غيرها من الوسائل و البدائل في الحلول ، ومن ثمة نرى أن النص كان صارما في تمثيل هذه الرؤية الإيديولوجية ، فتجاوز بذلك حد الدعاية والإشهار إلى التبشير بميلاد فجر الاشتراكية في الجزائر المستقلة و أما عقم " أبو الأرواح " و فشله في العثور على ورثته و محاصرة الجماهير له ، و محاولة الانتحار في نهاية المطاف إلا دليل على انتصار الكاتب للإيديولوجية الاشتراكية .

ويمكن القول أن " الزلزال " تجاوزت إشكالية العلاقة بين الرؤية الإيديولوجية و علاقة خارج النص بداخله ، و علاقة النص بصاحبه و مبدعه لتقرر أن الرؤية الإيديولوجية ليست إلا مكونا من مكونات البنية النصية للعمل الإبداعي .

3 – البطل الإيديولوجي لرواية " الزلزال "

شخصية " أبو الأرواح " شخصية مركزية تتفرع عنها شخصيات أخرى تنمو عبر الحديث الروائي هو نموذج للإقطاعي .

رواية " الزلزال " كما يقول أحد الباحثين : ((سيرة بطل مضاد مشحون بالمناقضات النفسية المريرة ، فرغم امتلاكه الأرض و المال ، فإن لحضات السعادة تبدو باهتة في حياته و هو الآن يدافع عن نفاسه الأخيرة "غولدمان و لوكاتش" هي قصة كفاح بطل منحط يواجه حاضرا منحطا متدهورا بحثا عن قيم أصيلة تعيد للوجود و جهته)) .[1]

شخصية " أبو الأرواح " من الطبقة البرجوازية التي يعتبرها الروائي عائقا يقف في وجه أي تغير حاصل في المجتمع الجزائري لا يخدم مصالحه أو يحط من قيمته كبرجوازي إقطاعي .

تتجسد هذه الملامح لشخصية أبو الأرواح من خلال جملة المتعارضات .

" أبو الأرواح " ≠ المجتمع (الفلاحين ، العمال الفقراء) .

هذا ما يدل على أن " أبو الأرواح " ساخط على ما آل إليه المجتمع القسنطيني خاصة و الجزائري بصفة عامة ، " أبو الأرواح " وضع نفسيه بمثابة النقيض للمجتمع الذي جعله يبدو غريبا و دخيلا .

مدينة قسنطينة زمن الاستعمار ≠ مدينة قسنطينة زمن الاستقلال .[2]

" أبو الأرواح " يأخذه الحنين إلى الماضي حين كانت مدينة قسنطينة زمن الاستعمار تعرف

1_ محمد أحمد عطية : البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ط1 ، 1977 ، ص 44 .

2_ المرجع نفسه، ص: 49.

الهدوء و النظام ((حين كان الزمن الطبقي ينوء بكله على مدينة قسنطينة ، مدينة الباشاوات ، الأغوات ، و القياد و المعمرين و اليهود فهو مزال ينتمي إلى الماضي ، إلى الجزائر المستعمرة لا المستقلة .

يقول متأسفا على وضع مدينة قسنطينة الجديدة : **((لا حول ولا قوة غلا يا الله أحقا هذا هو معلم بالباي الذي عرف الأغوات و البشوات و المشايخ و كبار القوم))** .[1]

فشخصية أبو الأرواح تقوم على مبدأ التناقض في كل شيء .

الاشتراكية ≠الرأسمالية، الدين ≠ الابتداع و الخرافة، الحضارة ≠ البداوة .

فالطاهر وطار يضعنا أمام ((بطل إقطاعي غارق في الهموم الطبقية الكثيرة يتشبث عبثا بقشة صغيرة طلبا للنجاة من الغرق ، و الإفلاس فالواقع الاجتماعي كان اكبر منه بكثير ، لأنه كان نتاج الجماهير الكادحة و السلطة الوطنية بكل ما تحمله هذه الأخيرة من تناقضات في تركيبتها الجوهرية)). [2]

كما يتضح أن شخصية " أبو الأرواح " في فترة الاستعمار كان قوة لا يستهان بها لذا لم يعجبه الوضع الحالي لأنه لم يعد يملك تلك القوة و الهيبة و هو دائما في حنين إلى فترة الاستعمار

1_ الطاهر وطار: الزلزال، المصدر السابق، ص: 23 .

2_ واسيني الأعرج: الزلزال جدل الإخصاب و العقم، هكذا تكلم الطاهر وطار، المقام النقدي الأول، مؤسسة كنوز الحكمة 2011 ، ص 211 .

لأنه كان يقتل ولا احد يحاسبه عما فعل فهو السيد و الآخرون مسودون **((اقترب وقع حوافر الحمار ، انغلقت عيناه امتدت يداه بأصابع متقلصة تتناول عنق " حنيفة " راح يضغط و يضغط ، أسلمت أنفاسها ، حملها إلى فوق ، مدد ذراعيه انفرجت أصابع يده ، راحت حنيفة تهوي و تهوي مكورة في ثوب نوم شفاف قبل إن تسلم أنفاسها إلى الأسفل التفتت نحوه هامسة : ذلك أنت مثل أبيك)) .**[1]

" أبو الأرواح " مرتبط بالإيديولوجية الإقطاعية، و ممارسة يقف ضد كل مظاهر الديمقراطية، يقف ضد التاريخ بجميع بناءاته الداخلية و ضد التطور الإنساني لأنه يدرك أن هذا التطور لا يخدم مصلحه ، فإحساس " أبو الأرواح " في العنق بالتاريخ هو إحساسه بالموت الذي يقترب منه يوما بعد يوم **((لم يكفهم ذلك بل ذهبوا إلى أبعد الشيوعية الحمراء فأنشأ لهم النقابات ، النقابة ضد من ؟ إن لم تكن ضد الحياة نفسها اللهم لطفك و رحمتك)).** [2]

فمن خلال هذا الوصف الذي اعتمده الكاتب لكي يبين لنا شخصية البطل الذي نسب له كل الصفات السيئة نستطيع أن نستخلص بعض السمات التي يتميز بها .

1 – **الملكية العقارية :** " عبد المجيد أبو الأرواح " يملك أراضي عديدة بعضها اشتراه و بعضها الآخر ورثه عن أبيه و البعض الآخر تنازله عنه بعض الورثة مما جعل مسألة توزيعها على أقاربه نوعا ما **((المسألة اعقد بعض الشيء إنها مرتبطة بكمية الأرض ، ما يزيد عن ثلاثة آلاف هكتار)) .**[3]

1_ الطاهر وطار: الزلزال، المصدر السابق، ص: 214 .

2_ المصدر نفسه ، ص: 79 .

3_ المصدر نفسه، ص: 32 .

فمن خلال " أبو الأرواح " يتمظهر لنا أن الأرض في نظرة هبة من الله و السيادة و الشرف لا يتمتع بها إلا صاحب الأرض فهو يرفض كل القيم التي لا صلة لها بالأرض .

وحبه الشديد للتملك أدى به إلى درجة الجنون فهو يحب التملك في كل شيء حتى الثانوية التي يديرها ينبغي أن تكون هي الأخيرة ملكا له ، تجده يستغرب أمر ابن الفقير الذي دخل الثانوية و سينال منحة من الدولة و ربما يصير مهندسا. [1]

فيقول : **((إذا ما صار ابنك هكذا فما تراه يكون ابن الغني ، وابن الطبيب و المهندس ، و من يبقى لصنع الفريك و السمن و جمع البيض و صنع الصوف هكذا فجأة واحدة من لقعر، من أسفل سافلين إلى أعلى عليين، يا لها من وقاحة)).** [2]

2 – التحالف مع الاستعمار :

من البداية الرواية ربما إلى غاية نهايتها يظهر لنا أن " أبو الأرواح " ساخط على الوضع الحالي الذي آلت إليه مدينة قسنطينة و يحبذ لو مازالت مستعمر حيث كان يسودها الهدوء و النظام و كأنه يتمنى عودة الزمن إلى الوراء و لم يكن هناك استقلال .

((دخل الفرنسيون المنطقة ، فقتلوا كل قادر على حمل السلاح ، حبلوا النساء ، و علقوا النياشين ، و أعلنوه زعيما ، وأعطوه أرضا كبيرة ، كل الأرض)) ، من خلال هذا يظهر لنا أن " أبو الأرواح " وريث سلالة من باعوا أهلهم و وطنهم في سبيل الحصول على قطعة أرض فجده الأول كان عميلا للاستعمار اشترك معهم في الإيقاع بأهل المنطقة الذين كانوا يطيعونه قادهم إلى الموت في مقابل الحصول غلى الأرض .

1_ الطاهر وطار: الزلزال، المصدر السابق، ص: 85 .

2_ المصدر نفسه: ص 172 .

و من خلال أبو "أبو الأرواح " الذي روى لابنه طيف أن جده الثاني استغله الفرنسيون ، نكتشف أنه ساهم في تجنيد الأهالي ، و الدفع بهم إلى غزو أشقائهم بتونس و المغرب .

((ازداد النياشين في صدر جدك ، و ازدادت مرتبته و ارتفع رأسه بيد إن الأرض اقتسمها مع المعمرين)).[1]

وبما أن " أبو الأرواح " قد ورث عنهم هذه الأرض فهو متحالف كأجداده وورث عنهم هذه الصفة فتأسفه و نقمه على الماضي و نقمة على الحاضر يدلان على ذلك **((هنا كان الحب و الغرام و الحبور و المرح يشع من عيون الغادات و الأوربيات و الإسرائيليات هنا ما كانت تنقطع روائح عطر الياسمين ، و عطر حلم الذهب و عطر اللبان)).** [2]

3 – استغلال المرأة و الانحلال:

القضية اتخذت منعرجا آخر انعكست في علاقته مع المرأة ، " أبو الأرواح " تزوج وهو في عمره خمسة و عشر سنة من طفلة عمرها تسع سنوات و بتحريض من أبيه يسافر إلى تونس من أجل الدراسة و يتركها ، و كان هذا كله من اجل غرض دنيء ليتصرف مع زوجة ابنه بوقاحة " ترك زوجاته الأربع و طلبها لغسل قدميه ، أغلق الباب خلفها و انفرد بها ". أبو الأرواح " كذلك يفعل نفس الشيء مع زوجة أبيه البالغة من العمر ستة عشر سنة

((زوجة أبي الصغرى كانت في السادسة عشر، راودتني عن نفسها ، مانعت و مانعت ثم انسقت معها)). [3]

1_ الطاهر وطار: الزلزال، المصدر السابق، ص: 172 .

2_ المصدر نفسه : ص 35 .

3_ المصدر نفسه، ص 175 .

أبوه يترك زوجاته الأربعة ليتزوج بيهودية و هو ينفرد مرة أخرى بإحدى زوجات أبيه حتى هذه الصفات الدنيئة و الانحلال الخلقي يبدو انه وراثي أيضا لدى عائلة " أبو الأرواح " فهم يعيشون في دوامة من الفساد و الانحلال الخلقي ، المرأة هي التي تدفع فيه الثمن لتحقيق أهداف الطبقة البرجوازية .

((تقدم فيها المرأة قربانا لآلهة الإقطاع الجائر و اللانسانية)) .[1]

"عبد المجيد أبو الأرواح" يسكن في العاصمة و هو مدير ثانوية مما يدل على أنه غائب عن أرضه و لا يخدمها مما يكشف عن ثنائية في الشخصية " أبو الأرواح " فهو إقطاعي بالي و لكن بمظهر بورجوازي جديد فهو قادر على التكيف مع أي وضع جديد.

5 – الاحتيال تجاه الثورة الزراعية :

منذ البداية يبدو " أبو الأرواح " رافضا للقوانين المتعلقة بتطبيق الثورة الزراعية خاصة بتأميم الأراضي لأنها أولا و قبل كل شيء لا تخدم مصلحه لكنه يحاول أن يجد الحلول لتفادي حصول هذا الأمر مما يجعله يستخدم عدة وسائل و طرق لتفادي حصول ذلك و يتجاوز بذلك الصعيد الفكري إلى الصعيد التطبيقي العلمي .

ا – الصعيد الفكري : " عبد المجيد أبو الأرواح " يعتبر نفسه الفقيه الشريف الذي يخدمه عامة الناس حتى الخدمة مورثة بالنسبة له كما كانوا يخدمون أجداده و كل ملا يوافق أهواءه و رغباته فهو منكر و كفر **((قرأنا العلم الشريف و جالسنا العلماء و كافحنا مع الشيخ بن بأديس تغمده الله برحمته الواسعة و تفقهنا في المذاهب الأربعة ، و لم نعثر على هذا المنكر)).** [2]

1_ محمد أحمد عطية : البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة ، المرجع السابق، ص:94 .

2_ الطاهر وطار: الزلزال، المصدر السابق، ص: 13 .

كما يعتبر نفسه المؤمن الوحيد تولدت لديه نوعا من الأنانية نتيجة لحبه الشديد للتملك و حب النفس و كل من يخالفه فهو كافر في نظره حتى الإجراء الحكومي بشأن تأميم الأراضي يعتبره خروجا عن الدين **((لعن الله حكومة الكفار و الملحدين أعوذ بالله))**.[1]

فهو يمقت الفقراء ة العمال و كل من يساند فكرة تطبيق الثورة الزراعية .

كما يلجأ إلى الأولياء من أجل أن ينتقم منهم و يسلط عليهم زلزالا **((اقض على الحكومة و على الفقراء و العمال و الطلبة ، و النقابيين أعد بعث أمة جديدة ليس فيها سوى نحن السادة و الأشراف))** .[2]

فهو يعتقد أن الثورة الزراعية غزو روسي يهدف إلى القضاء على الدين فهي في نظره بدعة من ما جعله يختلق الخرافات .

ب – على الصعيد العملي : اختار " عبد المجيد أبو الأرواح " أسلوب توزيع الأراضي على الأهل و الأقارب كما فعل غيره من المالكين الكبار لتفادي التأميم و هروبا من الثورة الزراعية .

ولكن خاب أمله ولم يعثر على أحد من أقاربه فكل منهم تغير من مجيء الاستقلال فهناك من استشهد و هناك من صار بطلا ساميا و هناك من أصبح أستاذا فجن جنونه و لم يستطع تحمل ذلك و قرر الانتحار إلا أن مجيء الشرطة منعه من ذلك .

رواية الزلزال تعد بمثابة زلزال في الأدب العربي شكلا و مضمونا حيث فرضت نفسها كرواية جزائرية من نوع التقدمي ، لها صلة وثيقة بقضية الجماهير الكادحة و الثورات التي تزلزل عالم اليوم لتحويله غلى عالم أفضل.

1_الطاهر وطار: الزلزال، المصدر السابق، ص: 26 .

2_ المصدر نفسه: ص 136 .

يقول " الأذرع شريف " في رواية الزلزال : **((خلاصة ما تقوله هذه الرواية هو أن الثورة الزراعية كان لا بد أن تكون حتمية إلا أن التعمق في تحليل الواقع الاجتماعي و الظروف التاريخية و مضمون الثورة الزراعية كمهمة ديمقراطية لكان حري به أن يتساءل ، لماذا لم تتم في 1963 مثلا : مع أنها من أول المطالب التي رفعتها الحركة الوطنية من العمليات الاقتصادية التي طرحها ميثاق طرابلس 1963 و لماذا تعلن الحكومة في سنة 1963 عن الإصلاح الزراعي و هذا الإعلان لم يبدأ فيه إلا في أوائل السبعينيات)).**

" الزلزال " الذي يتحدث عنه وطار في كل فقرات روايته هو زلزال حقيقي نزل على الجزائر ليقلب العالم القديم رأسا على عقب .

يقول " مياكوفسكي " **((هذا الزلزال الذي يهاب منه كل الإقطاعيين و البرجوازيين لأنه يقضي حتما على مصالحهم الخاصة ليتوجه إلى الجماهير الشعبية التي انتظرته بفارغ الصبر منذ أزمة مضت و كادت تفقد الأمل في انتظاره)).** [1]

هذا الزلزال هو الثورة الاشتراكية التي رسمت خطوطها في الميثاق الوطني و الدستور .

1_ علي ملاح: هكذا تكلم الطاهر وطار، المقام النقدي الأول ، المرجع السابق، ص: 346 .

خـــــــــاتمة

بعد الغوص في العمارة الروائية " للطاهر وطار" وما احتوته من أبعاد ودلالات و جماليات فنية جعلتها تتميز وتستحق الدراسة لاكتشافها، خلصنا إلى مجموعة من النتائج ولعل أهمها:

ـ الزلزال تحاول أن تجسد التحولات الزراعية التي حدثت في الجزائر لا بالشكل السياسي التهريجي المباشر، بل حاولت أن تكشف عن خلفية الصراعات الدائرة على الساحة محاولا أن يستوعب واقعه المتحرك.

ـ من خلال تحليل رواية الطاهر وطار اكتشفنا أشياء جديدة تخص المجتمع الجزائري خاصة أثناء ثورة الاستقلال باعتبارها النموذج الحي والناطق عن الواقع الاجتماعي حينذاك، وبالذات خلال الثورة الزراعية والتي تحدث عنها وطار الذي كان شاهد عيان وحاضرا كمشارك في أحداث الرواية مهما باللب الحقيقي للرواية.

ـ أراد "الطاهر وطار" من خلال روايته أن يسترجع إحدى المقومات الشخصية التي عمل الاستعمار على طمسها بكتاباته باللغة العربية وأراد أن يضعنا أمام مجتمع تعرض للاستعمار وهو يحاول الخروج من تلك التجربة القاسية من خلال رصد تحركات المجتمع الجزائري وتحولاته و معالجة لمجموعة من القضايا ذات أبعاد ثقافية، اجتماعية، سياسية، دينية، إيديولوجية وكيف انعكس ذلك على المتخيل الروائي.

ـ ارتبطت الرواية بالايديولوجيا منذ ظهورها، والعلاقة بينهما في غاية الأهمية لأنها تتيح لنا فهم النص الروائي في علاقته الداخلية، وارتباطاته الخارجية السوسيولوجية.

ـ يلاحظ أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية لم تفرز إلا كاتبا واقعيا اشتراكيا على رأسها تجربة الطاهر وطار الكتابية الواسعة جدا والغنية، وهذا لا يعني أنه سيظل متوقفا على الطاهر وطار وحده وإلا حكم هذا الاتجاه على نفسه بالموت كما يقول ذلك الطاهر وطار نفسه فأبوابه تتفتح على مختلف التجارب الأدبية.

وفي الأخير أتمنى أن يكون هذا البحث قد أضاء عدة جوانب في الموضوع وكان جهدي المبذول قد أفاد ولو قليلاً المكتبة الجامعية وكمرجع يلجأ إليه أهل العلم.

الملاحق

حياة الكاتب (الطاهر وطار):

الطاهر وطار، كاتب و أديب جزائري، عرف بأنه ابن بادية أصله من قبيلة بربرية من مواليد 15 أوت 1936م بدائرة صدارته ولاية سوق أهراس، تلقى تعليمه الأول (الابتدائي و الثانوي) بمدرسة مداوروش التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و يعد ذلك بمعهد ابن بأديس بقسنيطينة ، ثم بجامع الزيتونة بتونس، وفي سنة 1956م التحق بالعمل الثوري في صفوف جبهة التحرير الوطني يعد نشاطه الصحفي من أهم عوامل نبوغه، فقد أسس سنة 1962 جريدة "الأحرار"، كما عرف بنشاطه السياسي، حيث كان إطار سامي في حزب جبهة التحرير الوطني، ثم أحيل على التقاعد و هو لم يتجاوز سن سابع و الأربعين، و ترأس الجمعية الثقافية الجاحظية منذ 1989م حتى وافته المنية 2010.

والطاهر وطار متزوج و له ابنة واحدة، و يعتبر من مؤسسي الأدب العربي الحديث في الجزائر، ومن أبرز الكتاب المعاصرين يتميز بالجرأة و الصراحة، و بما أنه تربى تربية ريفية في المرتفعات الجبلية فقد عايش حكايات الجدات و الأمهات تأثر بمحيطه الاجتماعي حيث أنه صرح مرة قائلا: أنا مسكون بالشعب الجزائري بتعدديته و عظمته و جنونه، و أنا أحفظ عدة آلاف من أمثلة و أغانيه الشعبية و الفلكلورية، أجلس معه في المقاهي و لي أصدقاء حدادون، تجارون، تجار مثقفون ومن مختلف المهن، و كل هذا معكوس في كتاباتي و أنا أحمل في روحي تمرد الجزائري على كل ما هو نظام.[1]

1_ الحاج موسى شهيرة: الطاهر وطار أيقونة الأدب الجزائري، يومية الاتحاد، 2013/08/18 .

هذا ما أدى إلى اكتسابه تشكيلة لغوية غير اللغة التي ورثها في صباه، أما عن مؤلفاته، فقد ألف مجموعة من الروايات وصلت إلى ثماني روايات، و ثلاث مجموعات قصصية، و مسرحيتين.

ـ **الروايات وهي:** اللاز، رمانة، الزلزال، عرس بغل، الحوات و القصر، العشق و الموت في الزمن الحراشي، تجربة في العشق، الشمعة و الدهاليز، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي و هي آخر رواياته.

ـ **أما القصص:** دقات من قلبي، الطعنات، الشهداء يعودون هذا الأسبوع

ـ **المسرحيات:** على الضفة الأخر، الهاوي.

ترجمت بعض أعماله إلى حوالي عشر لغات حتى الآن و هي كالتالي: الروسية، الإنجليزية، الألمانية، الفرنسية، البرتغالية، الفيتنامية، اليونانية، الأوزباكستانية، الأذربيجانية العبرية و قد حولت بعض أعماله إلى السينما و المسرح.[1]

1_ الحاج موسى شهيرة: الطاهر وطار أيقونة الأدب الجزائري، يومية الاتحاد، 2013/08/18 .

ملخص رواية " الزلزال":

تعد رواية الزلزال الأولى من حيث النشر و الثانية من حيث الكتابة، فقد كتبت في: 13 سبتمبر 1973م، و تناولت موضوع الثورة الزراعية في السبعينات، أما أحداث الرواية فتتمحور حول شخصية الإقطاعي: الشيخ عبد المجيد أبو الأرواح، هذا الأخير مدير ثانوية هو العقم الذي يمنعه من الإنجاب، بالإضافة إلى قرار الحكومة تأميم الأراضي الزراعية التي تتعدى احتياجات أصحابها، هذا الأمر يجبره على السفر إلى مدينة قسنطينة من أجل البحث عن أقاربه لتنفيذ مشروعه الخاص، و المتمثّل في توزيع أراضيه على الورثة خير من أن تأخذها الحكومة:((أقسم في الورق الأرض على الورثاء حتى إذا ما جاءوا لانتزاعها، لم يجدوا بين يدي الشيء الكثير))[1]، إلا أنّ الشيخ عبد المجيد أبو الأرواح يتفاجأ من تغير أحوال أقاربه إلى الأفضل:

((_ أين عمار الحلاق، صهري؟

_ عمار الحلاق شهيد.

_ أين عبد القادر الغرابلي ابن عمي؟

_ عبد القادر أبو الأرواح الغرابلي أستاذ.

_ أين الطاهر أبو الأرواح النشال؟[2]

1_ سهيل الخالدي: كتاب الثورة الزراعية، د.ط، اتحاد الكتاب و الصحافيين الفلسطينيين، دار العودة، بيروت لبنان، ص: 27 .

2_ الطاهر وطار: الزلزال، الشركة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3 ، 1980 ، ص: 23

_ الطاهر أبو الأرواح النشال ضابط سامي يحل ويربط.

_ أين عيسى أبو الأرواح ابن خالتي مقدم الزاوية ؟

_ عيسى ابن خالتي مقدم الزاوية شيوعي في الحياة السرية.

_ و الرزقي لبرادعي ابن عم أبي؟

_ الرزقي لبرادعي غمام في الجامع.

_ سبحان الله)). [1]

فيقرر الشيخ عبد المجيد أبو الأرواح البحث عن من يساعده في تحقيق مشروعه، لكنه يتفاجأ من أن المعارف والأصدقاء أيضا تغيرت أحوالهم، و باتوا من الداعين للشيوعية و الحكومة، هنا يدرك أنّ الشعب في قسنطينة تغير، و رجال المال و النفوذ في طريق الزوال، و في هذا الوضع المتأزم يقرر الاستفادة من موروثه الديني من أجل مواجهة هذا (المشروع الإلحادي) على حد تعبيره:((هناك مشروع الحادي خطير، يهيأ في الخفاء)) [2]، لكنه في آخر المطاف يتأكد من عدم قدرته على المواجهة، فتتمكن منه الانفعالات القوية و الجارفة، التي تؤدي به في النهاية إلى الجنون، الذي يصور له الانتحار على أنه الخلاص الوحيد، و ذلك لعدم القدرة على استيعاب الراهن.

إنّ أول شيء يلفت الانتباه في رواية "الزلزال" من الناحية الفنية، هو استغراقها ليوم كامل على الرغم من أن عدد صفحاتها بلغ تقريبا (184 صفحة)، و هي على العموم تقترب من

1_ الطاهر وطار: الزلزال ، ص: 171 .

2_ المصدر نفسه: ص22 .

العمل المسرحي الكلاسيكي، لأنها تبدو وكأنها مشهد مسرحي واحد، يصور فيه الكاتب حالة من الخوف التي تعتري الشيخ عبد المجيد أبو الأرواح في كيفية تعامله مع قانون الثورة الزراعية، و يبرز هذا جليا من تلك الحوارات الباطنية (النفسية أو الداخلية)، أو من خلال الحوارات المتعددة مع سكان مدينة قسنطينة.[1]

هذه الرواية و مهما تعددت القراءات، إنّها تمثّل جانبا العرض المباشر للتاريخ الوطني، و هي محاولة من الكاتب تجسيد الواقع الاجتماعي الذي ظهر في الفترة الممتدة من الخمسينات إلى السبعينات، فجعل الشخصية البطلة تتفاعل مع الحاضر انطلاقا من الماضي، ليكشف لنا الكاتب عن مختلف التحولات التي عرفتها الجزائر في مرحلة ما بعد الاستقلال.

ويمثّل التناقض الموجود في الرواية "الزلزال" بين جيل ما قبل الاستقلال الذي يمثله الشيخ عبد المجيد أبو الأرواح، و جيل ما بعد الاستقلال الذي يتمثّل في الشعب القسنطيني و خاصة أقارب أبو الأرواح، هذا الأخير في مواجهته للأخر يحدث نوع من العنف اللفظي الذي يظهر في الحوارات الباطنية فتكون السبب المباشر في فقدان الوعي بالحاضر.

1_ الطاهر وطار: الزلزال ، ص:171 .

***القرآن الكريم**

***المصدر**

1_ الطاهر وطار: رواية الزلزال ، الشركة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3 ، 1980.

***المراجع:**

1_ إبراهيم عبد الله: الثقافة و المرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4 ، 1983 .

2_ أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 2006.

3_ أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره و قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.

4_ إدريس بودية: الرؤية و البنية الفنية في روايات الطاهر وطار، دراسة نقدية، قسنطينة، ط1، 2000.

5_ جورج لوكاتش: نظرية الرواية، الحروف للطباعة و النشر و التوزيع، سورية، ط2، 2012.

6_ حميد لحمداني: الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي، (دراسة بنيوية تكوينية) دار الثقافة، الرباط، المغرب، ط1، 1985.

7_ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

8_ سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت(لبنان)، (د.ط)، 1967.

9_ سعيد علوش: الرواية و الايدولوجيا في المغرب العربي 1960_1975م، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1981م.

10_ سيد البحراوي: علم اجتماع الأدب، دار نوبار للطباعة، ط1، القاهرة،1992.

11_ شكري عزيز الماضي: محاضرات في نظرية الأدب، دار البحث للطباعة و النشر، ط1، 1984.

12_ صالح مفقودة :

_ المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ط2، 2009 .

13_ طه وادي: الرواية السياسية، الشركة المغربية العالمية للنشر و التوزيع، لونجمان، ط1، القاهرة، 2003.

14_ عايدة يمينة: تطور الأدب القصصي، (1925_1967)، ترجمة: محمد صقر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982 .

15_ علال سنقوقة: المتخيل و السلطة، رابطة كتاب الاختلاف، ط1، الجزائر، 2001 .

16_ عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830_1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1983 .

17_ عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، (البحث في تقنيات السرد) المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب،الكويت، (د.ط)، ديسمبر 1998 .

18_ علي ملاحي: هكذا تكلم الطاهر وطار، المقام الأول، مؤسسة كنوز، الحكمة، 2011.

19_ عمر بن قينة: _ الأدب العربي الحديث، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1999 .

_ في الأدب الجزائري الحديث(تاريخا، أنواعا، وقضايا و أعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط5، 1995.

20_ فاروق خورشيد: في الرواية العربية، عصر التجميع، دار الشروق، ط3، 1998 .

21_ لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية بين الايديولوجيا و جماليات الرواية، عمان، الأردن، 2004 .

22_ محمد أحمد عطية: البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1977 .

23_ محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر، (د.ط)، 2009، منشورات السهل.

24_ محمود غنايم: تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، دراسة أسلوبية، ط2، دار الجيل، بيروت، القاهرة،1993 .

25_ مشري بن خليفة: سلطة النص، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2000 .

26_ موسى بن جدو :

_الشخصية الدينية في روايات الطاهر وطار ، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، 2008م .

27_ واسيني الأعرج:

_ اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (د.ط)، 1986 .

_ الزلزال جدل الإخصاب و العقم، هكذا تكلم الطاهر وطار، المقام النقدي الأول، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011 .

***المعاجم:**

1_ ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003 .

***المجلات:**

1_ عبد الحافظ مجري: الجسد الإنساني، مجلة الإبداع،عدد 9/سبتمبر/ 1997

2_ الحاج موسى شهيرة: الطاهر وطار، أيقونة الأدب الجزائري، جريدة الإتحاد، 2013/08/18 .

3_ صالح مفقود: نشأة الرواية العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، ع2، جامعة بسكرة، 2005 .

4_ الطيب بودربالة و السعيد جاب الله: الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، عدد07، 2005 .

***الرسائل:**

1_ محمد البصير: الموقف الثوري(1970_1982)، رسالة ماجستير، الجزائر، 1986 .

2_ ليلى حمراني: الأسلوب الاستعماري في الرواية الجزائرية المعاصرة، موضوع الجسد لأمين الزاوي أنموذجا، مذكرة ماجستير، بالشلف، 2007/2006 .

فهرس الموضوعات

مقدمة . أ _ ب

مدخل: سمات الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار.....4_11

الفصل الأول: الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار

المبحث الأول: ماهية الرواية الجزائرية.....14_24

1. مفهوم الرواية.....14_16

2. نشأة الرواية الجزائرية.....16_20

3. مراحل تطور الرواية الجزائرية.....21_24

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار.....25_39

1. الايديولوجيا ما بعد الاستعمار.....25_28

2. الرواية الجزائرية المكتوبة باللغتين.....29_39

الفصل الثاني: الرواية الجزائرية ما بعد الاستعمار " الزلزال" أنموذجا

المبحث الأول: تجربة الطاهر وطار الروائية.....42_55

1. العودة إلى الماضي.....42_45

2. الثالوث المحرم.....46_53

3. الأنا و الآخر.....54_55

المبحث الثاني: الموقف الإيديولوجي و الأبعاد الاجتماعية و الدينية للرواية.....56_74

1. البعد الاجتماعي و الديني لرواية الزلزال.....56_63

2. الموقف الإيديولوجي لرواية الزلزال.....64_66

3. البطل الإيديولوجي لرواية الزلزال.....67_74

الخاتمة.....77_76

الملاحق.....83_79

قائمة المصادر و المراجع.....88_85

فهرس الموضوعات.....90_89

ملخص:

عاشت الرواية الجزائرية في فترة السبعينات وما بعدها مرحلة مهمة خطت بنوعية الكتابة درجات أكدت من خلالها وجود وعي ذاتي وجماعي،وقد كان هذا الوعي أساس الصراع السياسي،الاجتماعي،الاقتصادي،والثقافي...الذي اصطبغت به الكتابات الروائية عند الطاهر وطار،واسيني الأعرج، وغيرها ولم يكن تشكيل الصراع الإيديولوجي الحامل لهموم المثقف الجزائري من خلال الرواية نظرة تبسيطية مناقشة ومحللة،وإنما استدعت الوعي الخاص اتجاه أحداث مخاض الكتابة الجديدة .

كلمات مفتاحية: الرواية ، الاستعمار، الزلزال، طاهر وطار.

Résumé:

Dans les années soixante- dix et au- de la, le roman Algérien a vécu une étape importante, qui a fait de la qualité de l'écriture plus élevée et plus progressée, en confirmant a travers l'existence dé une conscience de soi et collective, lette conscience était la base du conflit politique, social, économique et culturel... ce qui a influent les écrits romancier chez Tahar Water, Ouassini Laradj, et autre, en effet la formation du conflit idéologique porteur des préoccupation de l'intellectuel Algérien grâce a un vision simpliste ; discutant et analyste, mais appelé sa propre conscience envers les événements des affres de la nouvelle écriture .

Mots clés : roman, colonisation, le séisme, Tahar Ouatar.

تم بحمد الله